فى ٢٠ مارس ١٩٠٣ روى المستشرق الانجليزى ويلفرد بلنت أن الشيخ محمد عبده قال له :

« حدثت محاولة لادخال الماســونية مصــر فى أواخر أيام اسماعيل باشا . وكانت جميع المحافل مرتبطة بالمحافل الأوربية . وقد انضم الشيخ جمال الدين الى أحدها ، ولكنه سرعان ما اكتشف عدم جدواها فانسحب منها . وكان اسماعيل يشجعها حين بدأت متاعبه كى تخدم أهدافه . ولكن الماسونية لم تكن لها قوة فى مصر على الاطلاق »((٥٢) .

ويبدو أن بلنت لم يحاول تقصى تاريخ الماسونية فى مصر ، ولا كان محمد عبده يهمه أن يؤرخ لها . فقــد رأينا كيف دخلت الماسونية مصر قبل عهد اسماعيل ، وكيف حاولت المحافل الأجنبية — ذات الأغلبية الأوربية — أن تشتغل بالسياسة والمكائد ، وكيف انقسمت فى أواخر عهد اسماعيل بحيث كان قسم منها يؤيده أو يؤيد خلافة ابنه توفيق له ، وقسم آخر يؤيد ولاية الأمير حليم .. أما أن الماسونية لم تكن لها فى مصر — حتى ذلك الوقت — قوة ولا نفوذ فأمر نسبى فى الحقيقة يمكن أن ينطبق على الأقلية المصرية فى المحافل ، ولكنه لا ينطبق على الأغلبية الأوربية فيها . فقد كانت هذه الأغلبية تعمل — بطبيعة تركيبها وانتماءاتها — لحساب المصالح الأوربية وقناصل أوربا ، على الرغم من شعار عدم التدخل فى الدين أو السياسة الذى ترفعه الماسونية دائما .

لعل رالف بورج نائب القنصل الانجليزى فى مصر كان من أنشط وأخطر قناصل أوربا فى أواخر عهد اسماعيل وأوائل عهد توفيق والاحتلال ، لا فى السياسة وحدها وانما فى الماسونية أيضا ٠ ولأن المحافل الماسونية تجمع بطبيعتها أناسا مختلفى الأفكار والمشارب فهى مصدر مهم من مصادر المعلومات ٠ ولذلك كانت من أهم مصادر معلومات بورج ٠ وهذا هو أهم مظاهر القوة أو النفوذ الذى كان للماسونية فى مصر – على الأقل – خلال مرحلة تأسيسها ثم يأتى بعد ذلك مظهر آخر يتمثل فى حرص أصحابها على رعاية الحاكم لها والاحتماء بالشخصيات الكبيرة فى البلد الذى توجد فيه ٠ واذا كانت الماسونية فى بداية مرحلة التأسيس السابقة قد خاب حظها فى الأمير حليم الذى طرده اسماعيل سنة ١٨٦٨ فلم يخب حظها مع اسماعل نفسه ، ولا مع ابنه توفيق من بعده ، ولا مع السلطان – الملك فيما بعد – أحمد فؤاد ، ولا مع كثيرين غير هؤلاء من الشخصيات المرموقة فى مختلف المجالات ٠

واذا كانت مرحلة التأسيس السابقة بدأت بغزو أجنبى فقد بدأت هذه المرحلة ، مرحلة الاستقرار ، بغزو أجنبى أيضا ، ولا تعنينا هذه المصادفة ، وانما يعنينا أنها – فى الحالتين – تأكيد لطابع الظاهرة المستوردة الذى اتصفت به الماسونية فى تاريخ مصر الحديث بوجه عام ، وأثر فى حركتها وتطورها عبر هذا التاريخ ٠ ولكننا نلاحظ أن الاحتلال البريطانى كان من أهم عوامل استقرارها فى البلاد ، لا لأنها – كما رأينا من قبل – صناعة بريطانية وحسب ، وانما لأن كثيرين من قادة الاحتلال كانوا ماسونيين متحمسين على الطريقة الاسكتلندية ٠ ومن هؤلاء الجنرال ولسلى قائد جيش الاحتلال نفسه ، فضلا عن بعض جنرالاته المشهورين مثل سميث وكتشنر ووينجت ٠ وشجع هؤلاء وغيرهم كثيرين من ضباط الجيش المصرى على الانضمام الى المحافل الانجليزية ٠

لقد شهدت مرحلة الاستقرار هذه – بما توفر لها من دعم الحاكم والمحتل – عددا من التطورات الايجابية والسلبية على السواء ٠ وأهم التطورات الايجابية أربعة هى :

١ – استقطاب الشخصيات الكبيرة والمرموقة ٠

٢ – احتضان الجاليات الأجنبية والأقليات ٠

٣ – التوسع الجغرافى ٠

٤ – ظهور الكتب والصحف الماسونية ٠

ونتوقف الآن للحديث عن هذه التطورات واحدا بعد الآخر ٠

أولا : استقطاب الشخصيات الكبيرة والمرموقة :

فى سنة ١٨٨١ تولى منصب الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر الوطنى المصرى رجل أوربى لم يحدد أحد جنسيته ، وان كان يظهر من اسمه أنه يونانى ، ويدعى ديوانس اكونوموبولو ٠ وقد استمر فى منصبه حتى سنة ١٨٨٨ ٠ ولكن الماسونية اضمحلت فى عهده « نظرا لضعفه وعدم اقتداره »[٥٢] ٠ ثم عرض الماسونيون المنصب على الخديو توفيق ، أى أنهم أرادوا التخلص من زميلهم مقابل الظهور بمظهر أكبر وأفخم ٠ وتم ذلك عقب اجتماع انتخبوا فيه الخديو أستاذا أعظم ، بعد أن كان فى المرحلة السابقة عضوا عاديا ٠ وفور انتخابه ذاك ذهب وفد من المحفل يحمل اليه قرار الرئاسة ٠ وطلب منه الوفد قبول القرار ، « لأنه اذا لم يشد أزرهم آل أمر الماسونية الوطنية الى الاضمحلال » على حد تعبير شاهين مكاريوس بل القى أحدهم قصيدة طويلة بين يدى الخديو ، واستهلها باشارات الى شعارات الماسونية قائلا :

الحـــر يدرك بالتـــوفيق ما طلبـــا
وبالمســـاواة كل يبلـــغ الأربـــا

وبالاخـــاء رخـــاء العيش مقـــترن
تربو رباه اذا عهـــد الاخـــاء ربا

وما المســـاواة الا العدل وهو على
مصـــر بتوفيق مدت روحه طنبـــا

ووافق توفيق على اختياره أستاذا أعظم · ووعد بشد أزر الماسونيين ، ولكنه اعتذر عن عدم حضور اجتماعاتهم ، وأناب عنه وزير الحقانية (العدل) حسين فخرى (باشا)(٥٤) · أما الشاعر صاحب الأبيات السابقة فكان حفنى ناصف ·

ظل الماســـونيون يقدرون هذا الجميل حتى توفى توفيق فى ٧ يناير ١٨٩٢ · وحين خرجت جنازته فى اليوم التالى من قصر عابدين « كان من الهيئات المشيعة جماعة الماسونيين »(٥٥) · بل ان المحافل أعلنت الحداد « على رئيس الشرف الأعظم الأبدى لها مدة سبعة شهور »(٥٦) أما كونه « رئيس شرف » فذلك نتيجة تغير حدث قبل وفاته بنحو عام · اذ تخلى عن منصبه ، واكتفى بالرئاسة الشرفية ، وحل محله فى ٢٣ يناير ١٨٩١ رجل مصرى هذه المرة انتخب أستاذا أعظم ، ولعب دورا خطيرا فى الحركة الماسونية بعد ذلك ، وهو ادريس راغب (بك) ·

وكان راغب (ولد سنة ١٨٦٢) قاضيا بالمحاكم الأهلية وقتها ، وهو نفسه ابن اســماعيل راغب (باشا) الوزير ورئيس مجلس شورى النواب فى عهد اسماعيل ، ثم رئيس الوزراء فى عهد توفيق وقت احتلال مصر · وهو من أصل يونانى ، جمع فى حياته ثروة كبيرة تركها لابنه ادريس الذى أنفقها بسخاء على الماسونية منذ

توليه منصب الأستاذ الأعظم · فقد قام بتسديد ديون المحفل الأكبر فور توليه ، وأنشأ « محفلا أكبر لدرجة الأساتذة المعلمين » وعندما عين فى سنة ١٨٩٥ مديرا لمديرية القليوبية أنشأ فى عاصـمتها (بنها) محفلا باسمها · وفى عهد أستاذيته ازداد عدد المحافل حتى بلغ ٥٤ محفلا ، منها اثنان باسمه (محفل ادريس رقم ٤٣ ومحفل راغب رقم ٥) · كما أنشأ صحيفة تنطق باسم الماسونية(٥٧) · بل أنشأ – خارج المجال الماسونى – حزبا سياسيا صـغيرا سـماه « الحزب الدستورى » كان يدعو الى التمييز الطبقى ، ولا يعتد بالحياة النيابية ، مقابل الولاء الكامل للسلطة(٥٨) ·

لم يكن ادريس راغب – كما هو واضح – شخصية كبيرة ولا مرموقة ، ومع ذلك ظل يشغل منصب الأستاذ الأعظم حتى سنة ١٩٢٢ · ويبدو أن أمواله لعبت دورا ايجابيا فى بقائه طوال ثلث قرن تقريبا على رأس « السلطة » الماسونية كما سميت فى ذلك الوقت · وقد حل محله فى ذلك العام الأمير محمد على توفيق ولى العهد الذى خلف أباه فى المنصب الشرفى السابق · ولكن محمد على لم يستمر طويلا · فقد اســتقال سنة ١٩٢٧ بدعوى « رغبته فى الاخلاد الى الهدوء والراحة ، واعتلال صحته ، وعدم قدرته على الحضور فى دار المحفل الأكبر ليلا ، وكثرة أسفاره »(٥٩) وخلفه فى منصبه رجل ثرى آخر يدعى محمود فهمى قطرى (باشا) تولى منصب « الأستاذ الأعظم » سنة ١٩٢٨ لمدة عامين تقريبا · ثم خلفه محمد رفاعة (بك) ، فأحمد ماهر (باشا) ·

ولم يكن هؤلاء وغيرهم هم كل الشخصيات الكبيرة والمرموقة التى استقطبتها الماسونية · فقد ظهرت أسماء أخرى ألمع وأقوى فى صحف الماسونية وكتبها ونشراتها على مدى هذه المرحلة · ففى عشريات هذا القرن نجد ولى الدين يكن وابراهيم اليازجى وخليل

مطران وحفنى ناصف واسماعيل صبرى وأحمد فتحى زغلول من الأدباء والشعراء والمثقفين · كما نجد سعد زغلول وعدلى يكن وعبد الخالق ثروت من السياسيين · وفى عشرينات القرن يستمر ظهور معظم هذه الأسماء مضافا اليها محمود رمزى نظيم وأحمد زكى أبو شادى من الأدباء ، وعمر سعيد حليم وسعيد محمد على حليم وسعيد داود من الأمراء والنبلاء ، وعلى شعراوى ومحمد حافظ رمضان وفؤاد أباظة من السياسيين ، والشيخ حسن مأمون من رجال الدين ، واللواءان على شوقى ومحمد فهمى المتينى من ضباط الجيش · وفى الثلاثينات تستمر معظم هذه الأسماء وتستجد عليها أسماء أخرى ، مثل حسين شفيق المصرى من الأدباء ، ويوسف وهبى من الفنانين ، وأحمد ماهر من السياسيين ، ومحمود رسمى (رائد) ومختار زاهر (نقيب) من ضباط الجيش · وفى الأربعينات تكاد الصحف والكتب والنشرات الماسونية تختفى ، ولا يظهر للنشاط الماسونى أثر ملموس ، ولكن تستمر بعض الأسماء السابقة فى الظهور ، ويستجد عليها رجال مثل محمد رفعت من كبار موظفى الدولة ، والشيخ محمد أبو زهرة من رجال الدين ، وأحمد غلوش من الأطباء ، وفؤاد سراج الدين من السياسيين ·

تظهر شخصية سعد زغلول كأهم الشخصيات التى اهتمت بها الماسونية حتى وفاته سنة ١٩٢٧ · ففى سنة ١٩٢١ وضعت « المجلة الماسونية » صورته على أولى صفحاتها بعنوان « مشاهير رجال الماسون » وكتبت تحتها : « حضرة صاحب المعالى الأخ فائق الاحترام سعد زغلول باشا نائب أستاذ أعظم شرف بالمحفل الأكبر الوطنى المصرى »(٦٠) · وفى سنة ١٩٢٢ نشرت المجلة ذاتها نداء الى جميع السلطات الماسونية العظمى فى العالم تحتج فيه « على ما أصاب الحرية فى شخص أحد أبنائها وصفوة رجالها الأخ فائق الاحترام سعد زغلول باشا زعيم الحرية المصرية ورفاقه الأحرار ،

الذين نفتهم السلطة العسكرية الانجليزية الى جزيرة سيشيل ، فالمحفل الأكبر الوطنى المصرى يشارك الأمة المصرية فى عواطفها واحتجاجها ، ويتوسل بحق العهود الماسونية الى جميع الشروق العظمى والمحافل الكبرى الماسونية على العموم والمحفل الأكبر الانجليزى على الخصوص أن يعملوا على الغاء الأوامر التى قضت بنفى الأخ الفائق الاحترام سعد زغلول باشا ورفاقه ، والكف عن استعمال القسوة التى اتخذتها السلطة العسكرية الانكليزية ضد الشعب المصرى الهادىء الأعزل »(٦١) ·

ومن الواضح أن هذا النداء الاحتجاجى كان خروجا على مبادىء الماسونية التى تقضى بعدم التدخل فى شؤون الدين والسياسة · ومع ذلك مضت الصحف الماسونية فى ذلك التدخل عن طريق المحفل الأكبر الوطنى المصرى · ففى ابريل من ذلك العام أرسل المحفل الأكبر الى الملك فؤاد برقية يناشده فيها العمل على اطلاق سراح سعد زغلول ورفاقه المنفيين(٦٢) · وفى يونيو ١٩٢٤ استنكرت مجلة « الميثاق » محاولة الاعتداء على « الأخ كلى الاحترام سعد زغلول » بعد عودته من المنفى(٦٣) · ولما مات سعد زغلول بعد نحو ثلاث سنوات طلب الى المحافل الماسونية « أن تستعمل فى مكاتباتها أوراقا مجللة بالسواد ، وتلبس الحداد ، وأن يضع جميع الموظفين ورودا سوداء على أوشحتهم ومآزرهم مدة سبعة أسابيع · وأقيمت حفلة جناز لذكرى الزعيم المحبوب »(٦٤) ·

لم يكن سعد زغلول — على أى حال — عضوا عاملا فى الماسونية ، وانما كان منصبه (نائب أستاذ أعظم) شرفيا ، يلى منصب الأمير محمد على (الأستاذ الأعظم) الشرفى أيضا حتى سنة ١٩٢٢ · ومع ذلك حظى سعد زغلول بكل هذا التقدير فى الوقت الذى لم يحظ فيه زميله عبد الخالق ثروت (باشا) بتقدير مماثل حتى عند وفاته فى سبتمبر ١٩٢٨ · فقد أعلن رئيس المحفل الأكبر

وقتذاك (محمود فهمى قطرى) أن الماسونية فجعت « بوفاة حضرة الأخ المغفور له صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا » وأوقف أعمال الجلسة التالية للوفاة « عشر دقائق حدادا ثم قرر ارسال برقية عزاء الى أسرته الكريمة »(٦٥) وكان ثروت بدرجة « منبه أعظم شرف » ، أى أنه لم يكن ماسونيا عاملا أيضا ٠

ومن الواضح أن استقطاب الماسونية لمثل هذه الشخصيات الكبيرة أو المرموقة قد ساعدها على الاستقرار ، والظهور بمظهر الأهمية ، والدعاية فى الأوساط غير الماسونية ، والتوسع الجغرافى داخل البلاد ٠

ثانيا : احتضان الجاليات الأجنبية والأقليات :

اذا كانت الماسونية ـ كما رأينا ـ ظاهرة وافدة على أيدى الجاليات الأجنبية ، فمن الطبيعى أن تحتضن أبناء هذه الجاليات فضلا عن أبناء الأقليات المستوطنة ٠ ولكن من الملاحظ فى هذه المرحلة ، مرحلة الاستقرار ، أن أبرز هذه الجاليات والأقليات التى وجدت الرعاية والتشجيع من الماسونية ، هى الأقلية الشامية المسيحية المهاجرة والأقلية اليهودية المستوطنة ٠ وفى الوقت ذاته وجدت الماسونية فى هذه وتلك كل عون وتشجيع ، ولاسيما فى مجال الاعلام ٠

(أ) الأقلية الشامية المسيحية :

شهدت مصر ، فى أعقاب استقرار الاحتلال الانجليزى ، موجة جديدة من المهاجرين المثقفين الشاميين ٠ وتصادف أن كان معظم هؤلاء من لبنان ، ومن خريجى أو دارسى الكلية السورية الأمريكية ٠ كما تصادف أن « معظمهم كان من أعضاء جمعية شمس البر التى

وصفها الأب لويس شيخو بأنها جمعية ماسونية »(٦٦) وكان من أعضائها المؤسسين شاهين مكاريوس ويعقوب صروف ، ومن أعضائها الفخريين فارس نمر ٠ وكان ثلاثتهم يصدرون فى بيروت مجلة « المقتطف » الزراعية الصناعية العلمية منذ سنة ١٨٧٦ ٠ ولكن يبدو أن غياب حرية التعبير فى الشام ، فى ذلك الوقت ، أثر فى حرية المعتقدات ، وأن الماسونية كانت تعانى ـ هناك ـ نوعا من الاضطهاد الشعبى اذا صح التعبير ٠ فقد ذكر جرجى زيدان أن أول محفل ماسونى فى بيروت تأسس سنة ١٨٦٢ ثم تلاه آخر سنة ١٨٦٩ ، ولكن الكنيسة الجزويتية قاومت الفكرة الماسونية منذ البداية حتى أصبح اسم « الماسون » عند العامة « مرادفا لأدنى صفات الاحتقار ، فكانوا اذا أرادوا المبالغة فى وصف أحد الكفرة أو المنافقين لا يجدون أنسب من قولهم « فارماسون » للافادة عما فى ضميرهم ، فهى عندهم مرادفة لقولنا كافر منافق مختلس ، وما شاكل »(٦٧) وذكر شاهين مكاريوس أن سمعة الماسونية كانت سيئة الى درجة تشاتم الأهالى باسمها « فيقول الواحد للآخر يا ابن الفرمسونى ٠ وعندئذ تثور ثائرة المشتوم فيمسك بخناق صاحبه ويصيح : ياناس اشهدوا ، يشتمنى ويقول : يا ابن الفرمسونى ٠ أنت فرمسونى وكل أهلك فرمسون »(٦٨) ٠

ولكن مصر لم تكن تعرف فى ذلك الوقت أى عداء رسمى أو شعبى من هذا النوع ٠ ولهذا قصدها هؤلاء وغيرهم بحثا عن حرية الرأى والاجتماع والتعبير ٠ ففى سنة ١٨٨٤ جاء ثالوث صروف ونمر ومكاريوس الى القاهرة ، وتابعوا اصدار « المقتطف » منها ٠ وسرعان مالحق بهم جرجى زيدان وعدد آخر من الكتاب والصحفيين من بينهم ابراهيم اليازجى وخليل مطران وملحم شكور ونعوم شقير وجبر ضومط وفيلكس فارس على التوالى ٠ ولم تمض سنوات قلائل حتى كان الثالوث السابق ـ بصفة خاصة ـ قد دعم صلته بسلطات

الاحتلال . بل ان فارس نمر (١٨٥٧ - ١٩٥١) تزوج ابنة القنصل الانجليزى فى مصر سابقا ، ثم زوج ابنته - فيما بعد - الى السكرتير الشرقى للسفارة الانجليزية . وعن طريق تعاونهم مع الانجليز أصدر شاهين مكاريوس (١٨٥٣ - ١٩١٠) مجلته « اللطائف » سنة ١٨٨٦ ، التى استمرت فى الصدور حتى وفاته . وأصدر فارس نمر صحيفته « المقطم » سنة ١٨٨٨ التى استمرت فى الصدور حتى أواخر ١٩٥٢ واستقل يعقوب صروف (١٨٥٨ - ١٩٢٧) بمجلة« المقتطف» التى استمرت فى الصدور الى أواخر ١٩٥٢ أيضا وكانت مطبعة « المقتطف » التى أدارها مكاريوس تطبع المجلتين والصحيفة فى البداية ، فضلا عن المطبوعات الحكومية والاعلانات القضائية التى تتلقاها من السلطة ، وتقارير اللورد كرومر (المعتمد البريطانى) السنوية لحكومته عن مصر . وكانت مجلة « المقتطف » تترجم هذه التقارير الى العربية والفرنسية وتوزعها على مشتركيها .

كانت مطبعة « المقتطف » - كما سنلاحظ فى الببليوجرافيا الملحقة - مصدر طبع العديد من الكتب والنشرات الماسونية . ومن أهم هذه الكتب نحو عشرة مؤلفات لشاهين مكاريوس وادريس راغب ، فضلا عن مجلة « اللطائف » التى جعلها مكاريوس منبرا بارزا للماسونية ، ومجلة « المقتطف » التى كانت أول مجلة عربية فتحت صفحاتها للماسونية تعريفا وتبشيرا ابتداء من سنة ١٨٨٤ ، وجريدة « المقطم » التى أتاحت للماسونية نافذة جماهيرية يومية واسعة .

واذا كان جرجى زيدان اكتفى بكتابه الوحيد الذى سبقت الاشارة اليه ، وهو أول كتاب بالعربية عن الماسونية ، فلم يكتف شاهين مكاريوس بكتبه السبعة التى نشرها فى القاهرة عن الماسونية ، ولكنه كان من أنشط - ان لم يكن أنشط - عناصر الدعاية لها ، لا على المستوى النظرى فى التأليف والكتابة وحسب ، وانما

على المستوى العملى أيضا ، أى على مستوى المحافل العديدة التى انضم اليها أو أسسها . واذا كانت « المقتطف » عالجت الماسونية بطريقة معتدلة الى حد ما - كما سنرى - فقد كانت مجلة « اللطائف » على النقيض من هذا تماما . فهى « أول مجلة جاهرت بالتعاليم السرية الماسونية فى القطر المصرى » على حد تعبير قسطاكى الحلبى أحد مؤرخى الصحافة العربية(٦٩) . بل ان صاحبها ومحررها مكاريوس أنشأ محفلا باسمها ، ووصفه بقوله انه « جمعية أدبية شريفة المقاصد لا تتعرض لدين ولا لسياسة ، فهى تضم من المسلمين والمسيحيين واليهود الجم الغفير من أبناء المشرق »(٧٠) ومع ذلك دخلت المجلة سنة ١٨٨٨ فى معركة حادة مع اليسوعيين (الجيزويت) وألبت عليهم الحكومة . وكان مما نشرته فى تعريف « الحرية » قولها انها « لفظ لم نسمع به مستعملا فى معناه المتعارف الآن (١٨٩١) الا منذ وجود هيئة الماسونية فى مصر »(٧١) ولعل هذا كاف للدلالة على تحمس المجلة وصاحبها للماسونية دون أى اعتدال .

غير أن « اللطائف » ، مجلة ومحفلا ، لم تكن كافية - فيما يبدو - لاستيعاب حماسة مكاريوس . فقد ألف ستة كتب تحمل عناوينها - كما سنرى فى الببليوجرافيا - مضمونا دعائيا صارخا، فضلا عن كتاب سابع مترجم قام بطبعه وتقديمه بعنوان « تاريخ الماسونية القديمة وآثارها » وفيه أضاف فصلا عن تاريخها فى مصر لم يزد شيئا عما ذكره زيدان من قبل ، سوى تمجيد ادريس راغب والدعاية له . وذكر فى مقدمة هذا الكتاب أنه انضم الى الماسونية سنة ١٨٧٣ فى بيروت . وأورد على غلافه بيانا طريفا بمكانته ومناصبه فى الماسونية ، هذا نصه بعد عبارة « عنى بطبعه شاهين بك مكاريوس » :

« رئيس أعظم شرف مقام العقد الملوكى بالينويس فى الولايات المتحدة الأمريكية ، ورئيس ثالث أعظم مقام العقد الملوكى الأكبر بمصر ، وعضو شـرف فى جمعية أبطال الماسونية القدماء ، وعضو شرف فى كل من محفل اللولو بأمريكا ، ومحفل سلتك الأمريكى ، ومحفل سليمان الملوكى بالقدس ، ومحفل الثبات ، ومحفل الصفا بمصر ، ومحفل سورية فى بيروت ، ومحفل اسكله سليمان بيافا ، ومحفل بنى سويف ، ومقام كوكب الشرق الانكليزى ، ومجمع الكرنك الفرنسوى لدرجة ١٨ ، ومنبه أول شرف بالمحفل الأكبر الوطنى المصرى ، ومنبه أول الشرق الأكبر المصرى ، ورئيس ومؤسس محفل اللطائف ومقام اللطائف ، ومحفل فينيقية ، ومحفل بدر حلوان ، ومحفل بدر حلوان الكمالى ، ورئيس ومؤسس محفل مكاريوس لدرجة الأساتذة المعلمين (المارك) ومحفل المقطم ، وعضو محفل الاخلاص (المارك) ومحفل الحكمة ٠ وأستاذ شرف المحفل الأكبر بفلادلفيا ، وحائز لدرجة النخل والصدف ودرجة ٣٣ وغيرهما » ٠

ومع ذلك ، غلبت الحماسة فى هذه المؤلفات ــ كما فى هذا البيان ــ على الموضوعية ، وسيطرت الدعوة على الداعية وحب الظهور على التواضع ، حتى تحول الرجل ــ بمفرده ــ الى مؤسسة ماسونية كبرى كما رأينا فى قائمة نشاطه المذكورة على غلاف الكتاب السابق ٠

اذا كان مكاريوس على هذا النحو من التباهى بقدراته ونشاطه فقد كان فارس نمر وصروف أقل تباهيا وحماسة ٠ فقد اختير نمر رئيس شرف لمحفل الثبات ــ الذى كان مكاريوس من أعضائه ــ بالقاهرة ٠ ولم يعرف عن صروف أنه انضم الى محفل معين ، وان كان قد بذل نشاطا فى الكتابة عن الماسونية فى « المقتطف » ٠ ومع

ذلك وقع مكاريوس وصروف عام ١٩٠٩ فى معركة طويلة مع الأب لويس شيخو اليسوعى (١٨٥٩ ــ ١٩٢٧) الذى دأب على مهاجمة « المقتطف » وأصحابها فى مجلته البيروتية « المشرق » منذ صدورها سنة ١٨٩٨ حتى وفاته ٠ فقد تناول شيخو الدعوة الى الماسونية فى مجموعها بالنقد الحاد فى سلسلة من المقالات بعنوان « السر المصون فى شيعة الفرمصون » وفى هذه السلسلة الفريدة من نوعها راح الرجل ينقب فى مؤلفات الماسونيين الفرنسية والعربية ليدلل على عدائها للمسيحية ٠ ولم يدع أصحاب المقتطف واللطائف والمقطم والهلال وغيرهم من الماسونيين الشوام المهاجرين دون التدليل على ضعف حججهم ، ومعارضة الماسونية للدين ومناهضتها للسلطة الشرعية ٠ ويمكن أن نعد هذه السلسلة أول هجوم منظم بالعربية على الماسونية ، بالرغم من سياسة الصمت التى اتخذها ــ ازاءها ــ مكاريوس وصروف ونمر وزيدان ٠

وقد كشفت هذه المعركة فى النهاية عن رسالة بعث بها صروف الى شيخو كنوع من طلب الهدنة ٠ وهذه الرسالة لم تنشر بالعربية من قبل ، ولكن المستشرق الاسرائيلى س ٠ موريه نشر ترجمة لبعضها بالانجليزية فى كتابه « الشعر العربى الحديث » ، وروى أن الدكتور توماس فيليب بمركز دراسات الشرق الأدنى بجامعة كاليفورنيا أعطاه نسخة مصورة لها ٠

فى هذه الرسالة المؤرخة فى ١٤ يونيو ١٩١١ كتب صروف من القاهرة يعترف بأنه انضم الى الماسونية لمدة عشر سنوات (١٨٧٦ ــ ١٨٨٦) ويخطىء شيخو فى قوله ان الماسونية تناقض المسيحية ٠ ثم يضيف :

« انها ــ على العكس ــ تؤلف بين قلوب المسيحيين والمسلمين وتجعل المسلمين يحترمون الديانة المسيحية » ٠

ومع أن موريه لم ينشر النص الكامل للرسالة ، ومع أننا لا ندرى شيئا عن ظروفها ، فان السطرين السابقين يكشفان عن تفكير الأقلية الشامية المسيحية فى مجتمع مسلم الأغلبية مثل مصر ، ويؤكدان ما سبق أن قلناه من أن الماسونية تجتذب الأقلية عادة ، أيا كانت ديانتها · فصروف المسيحى فى بلد أغلبيته مسلمة مثل مصر يسعى الى الماسونية لأنه يعتقد انها تفرض على الأغلبية احترامه أو حمايته · وهذا ما يؤكد حرص الماسونية أيضا على الاحتماء برجال الحكم وأقطابه · ومع ذلك يبدو أن المسألة كانت ـ كما قلنا ـ طلبا للهدنة وايقاف المعركة ، لأن صروف لم يكن بحاجة الى هذا النوع من التبرير وقتها فى ظل استقراره ونجاح مجلته ·

غير أن هذا الحماس الشديد الذى أبداه المهاجرون الشوام المسيحيون نحو الماسونية لم يستمر طويلا · فبعد وفاة مكاريوس سنة ١٩١٠ خف الحماس كثيرا · وبعد وفاة صروف سنة ١٩٢٧ ازداد الحماس فتورا · ولكن الماسونية ذاتها كانت قد استقرت ولم تعد بحاجة كبيرة الى الدعاية بعد العقود الثلاثة الأولى من مرحلة الاستقرار هذه ، أى منذ ١٨٨٢ الى ١٩١٢ تقريبا · ومع ذلك ، ليس من اليسير التقليل من الدور الدعائى للماسونية الذى لعبه كتاب الجالية الشامية المسيحية وصحفيوها خلال هذه العقود الثلاثة على الأقل · واذا عدنا الى قائمة الصحف المدرجة فى الببليوجرافيا فسوف نجد أن عدد الصحف التى اهتمت بالماسونية يبلغ عشر صحف ، منها خمس كان يملكها ويحررها شاميون مسيحيون ، فى حين أن عدد الصحف التى تخصصت فى الماسونية يبلغ سبع صحف ، لم يكن منها سوى صحيفة واحدة لأبناء تلك الأقلية مقابل ثلاث صحف لأبناء الأقلية اليهودية ·

(ب) الأقلية اليهودية :

يمكن القول ـ دون الدخول فى تفصيلات كثيرة ـ أن مرحلة استقرار الماسونية هذه (١٨٨٢ ـ ١٩٤٨) كانت تمثل فى الوقت ذاته العصر الذهبى لليهود فى تاريخ مصر الحديث · وقد أتاح لهم الاحتلال البريطانى ـ كما أتاح للماسونية ـ الكثير من فرص النمو والازدهار · وكان أظهر رد فعل لذلك هو التزايد المستمر فى هجراتهم الى مصر ·

لقد كان اليهود أقلية مستوطنة فى مصر طوال التاريخ القديم والحديث ، ولكن عددهم بدأ فى الزيادة المستمرة فى أعقاب الاحتلال البريطانى · فقد بلغ عددهم سنة ١٨٨٢ نحو ٢٠ ألفا ، ثم بدأ هذا العدد فى الارتفاع ـ بالهجرة لا بالتكاثر وحده ـ من ٥٢٠٠ سنة ١٨٩٧ ، الى ٣٨٦٣٥ سنة ١٩٠٧ ، الى ٥٩١٤٨ سنة ١٩١٧ ، الى ٦٣٥٥٠ سنة ١٩٢٧ ، حتى وصل الى ٦٤٤٨٤ سنة ١٩٤٧ · ومن الواضح فى هذه الأرقام أن عدد اليهود لم يتوقف عن الزيادة غير الطبيعية ، وان كانت الزيادة الأخيرة محدودة · وسبب ذلك هجرة كثيرين منهم الى فلسطين وغيرها حتى قبل ١٩٤٧ · وقد رافق هذه الزيادة المستمرة ازدياد واضح فى حجم الأسر الكبيرة وأموالها ونفوذها من جهة ، وازدياد فى حجم الوضع اليهودى فى الماسونية من جهة أخرى ·

وقد وجد اليهود فى الماسونية ما وجده فيها المسيحيون الشوام : مظلة للحماية ، ووسيلة لاكتساب عطف الأغلبية واحترامها فضلا عن كونها مجالا خصبا للعلاقات العامة التى لا تتيسر المصالح بدونها · بل انهم نجحوا فى سنة ١٩٢٢ فى تحويل الماسونية الى أداة لخدمة الصهيونية وأحلام الوطن القومى فى فلسطين كما سنرى بعد ذلك ·

وإذا كانت الأقلية الشامية المسيحية برزت فى مجال الدعاية والاعلام للماسونية فقد برزت الأقلية اليهودية فى هذا المجال أيضا ٠ وكانت جهودها تالية من ناحية الكم لجهود الأقلية الشامية المسيحية ، ولكنها كانت أكثر منها تركيزا وتفوقا فى مجال المحافل ، أى المجال العملى للماسونية ٠ فقد أصدر اليهود ثلاث صحف متخصصة فى الماسونية ، وهى : « المجلة الماسونية » التى أصدرها فى الاسكندرية يوسف لفلوفه سنة ١٩٠١ ، مجلة « الاخاء » التى أصدرها فى القاهرة رحمين فرجون سنة ١٩٠٦ ، مجلة « الأخبار الماسونية » التى أصدرها فى القاهرة أيضا موسى جرونشتين (مع اسكندر فرج وألبير بزيات) سنة ١٩٢١ ٠ ومع ذلك كانت هذه الصحف الثلاث قصيرة العمر بوجه عام كما سنرى عند الحديث عن الكتب والصحف الماسونية ٠

لم يكن اليهود أقل نشاطا وحماسة فى المحافل أيضا ٠ فقد ترددت اسماؤهم كثيرا فى أخبار المحافل ونشاطها فى الصحف والنشرات الماسونية ، ولاسيما فى العشرينات ٠ ومن هذه الأسماء تاثان سوسان سكرتير محفل « الايمانسيباسيون » (كلمة فرنسية بمعنى التحرر) بالاسكندرية سنة ١٩٠٣(٧٣) ، وموسى جرونشتين مؤسس ورئيس محفل اسكندر الأكبر فى القاهرة حتى وفاته فى مارس ١٩٢١ ، وموسى مصلياح رئيس محفل فؤاد رقم ٢٢٠ بالقاهرة سنة ١٩٢١(٧٤) ، وايلى عقرب مساعد خزان أعظم وشاؤول عقيرب مساعد حامل علم أعظم بالمحفل الأكبر بالقاهرة سنة ١٩٢١ ، وسلمون جولدشتين أمين خزينة أعظم وألبرت بزيات مرشد أول أعظم بالمحفل الأكبر بالقاهرة سنة ١٩٢٢ (الأخير هو نفسه شريك جرونشتين فى تأسيس مجلة « الأخبار الماسونية »(٧٥) ، وعزرا نحماد وايلى ليفى وادموند ميلى وصول دافاس وعزرا شاوول وليناردوا وس ٠ س ٠ فروجيه موظفون وضباط عظام بالمحفل الأكبر سنة ١٩٢٣/٢٤(٧٦) ٠

وتكشف قائمة المحافل وأساتذتها العظام لسنة ١٩٢٨ عن وجود ٥٢ محفلا تحت لواء المحفل الأكبر الوطنى المصرى فى تلك السنة ، منها محفل « أحيقام » الذى جعل العبرية لغته ، فضلا عن ٨ محافل تشغل الأسماء اليهودية مناصب الأساتذة العظام فيها (فيكتور موديانو وليون ستاراسلسكى ويوسف شحاته هرارى وليون محرز فى القاهرة ، ايلى حتويل وهوجز موسو وسابينو كاليا فى الاسكندرية ، ماير دنكور فى السويس) ، فى حين شغل المسيحيون الأقباط ٣ مناصب مقابل لاشىء للمسيحيين الشوام ، ٢٤ للمسلمين ، ١٧ لليونانيين وغيرهم من الأوروبيين ، أى أن الوجود اليهودى فى الاعلام والمحافل لم يكن عابرا أو محدودا فى تلك الفترة ٠

ثالثا : التوسع الجغرافى :

كان من نتائج استقرار الماسونية فى هذه المرحلة أنها بدأت فى النمو والتوسع داخل مصر وخارجها ٠ واذا كان التوسع الداخلى طبيعيا لازدياد الاقبال على المحافل فقد كان التوسع الخارجى تطورا غير مسبوق ٠

(أ) فى الداخل :

يتبين من متابعة الصحف الماسونية المتخصصة أن عدد المحافل أخذ فى الازدياد المستمر طوال الثلث الأول من هذا القرن ٠ ففى سنة ١٩٠٣ بلغ عدد المحافل ٤١ محفلا ٠ ولم تقتصر هذه المحافل على المدن المصرية الكبرى مثل القاهرة والاسكندرية وبورسعيد وطنطا ، وانما تعدتها الى المدن الصغرى مثل السنبلاوين ٠ وبنها والابراهيمية(٧٨) ٠ وفى سنة ١٩٠٧ بلغ عدد المحافل ٤٢ محفلا ، أى بزيادة محفل واحد ، وكان أكثرها فى القاهرة والاسكندرية ٠ ولكنها دخلت مدنا أخرى لم تعرفها من قبل مثل ميت غمر ٠ وكان

تقسيمها الجغرافى كالآتى : ٣٢ فى القاهرة ٥ فى الاسكندرية ، ٢ فى طنطا ، محفل واحد فى كل من المنصورة والزقازيق وميت غمر(٧٩) وفى سنة ١٩٢١ بلغ عدد المحافل التابعة للمحفل الأكبر الوطنى المصرى وحده ٢٩ محفلا ٠ وبلغت ايرادات هذا المحفل فى المدة من يناير الى يونيو ١٩٢١ نحو ٣٨٧٢ر٩٤٦ جنيها ، وبلغ رصيده ٣٠١١ر٤١٨ جنيها(٨٠) وفى سنة ١٩٢٤ بلغ عدد المحافل المصرية العاملة التابعة لسلطات (ماسونية) معروفة لدى المحفل الأكبر فى القاهرة والاسكندرية وطنطا ، والخرطوم وعطبره والسويس والمنصورة نحو ٢٥ محفلا(٨١) ٠ وفى سنة ١٩٢٧ بلغ عدد المحافل التابعة للمحفل الأكبر ٥٩ محفلا ، وبلغ عدد أعضائها ٦٥٠٠ عضو(٨٢) ٠ وفى سنة ١٩٢٩ بلغ عدد المحافل التابعة للمحفل الأكبر ٥٢ محفلا ٠ وكان توزيعها كالآتى : ٢٦ فى القاهرة ١٣ فى الاسكندرية ، ٢ فى كل من بورسعيد والسويس والاسماعيلية والمنصورة وكفر الزيات ، محفل واحد فى كل من بنها وطنطا ودمنهور(٨٣) ٠

ومن الواضح فى هذه الأرقام أنها مالت الى عدم الاستقرار بشكل عام بالرغم من ارتفاعها المستمر تقريبا ، وأن بيان المدن التى عرفت هذه المحافل يدل على أن حركة المحافل – بالنقص أو الزيادة – كانت تتبع حركة استقرار الأقليات والجاليات الأجنبية فى هذه المدن ٠ ولكن يبدو من أرقام الأعضاء سنة ١٩٢٧ أن هذه المحافل لم تكن مزدحمة ، ولا كانت عضويتها ساحقة ، وأن الانضمام لها كان أشبه بالانضمام الى الأندية الاجتماعية المحدودة ٠ بل ان هذا العدد ذاته لايتناسب مع الدعاية التى بذلتها المحافل وأنصارها ٠ ولكن المسألة – كما هى دائما فى الماسونية – ليست مسألة كم ٠ فالأعضاء يختارون بعناية ، والمصالح التى تربطهم لابد أن تكون قوية ٠

(ب) فى الخارج :

لم يعرف عن الماسونية المصرية أنها تخطت حدود البلاد قبل سنة ١٨٩١ ، بحيث يصبح لها رعايا من المحافل خارج مصر ٠٠ ولكن حدث أن حصل شاهين مكاريوس على رخصة من المحفل الأكبر الوطنى المصرى لتأسيس محفل تابع له فى بيروت فى ذلك العام (١٨٩١) تحت اسم « محفل فينيقية » ، وان كان الوالى العثمانى أغلقه بعد قليل بأمر من السلطان عبد الحميد(٨٤) ٠ وبعدها تأسست بعض المحافل فى أنحاء متفرقة من الشام (سوريا ولبنان وفلسطين) ٠ وازداد عدد هذه المحافل مع الزمن ، حتى أن المحفل الأكبر فى مصر قرر فى جلسة ٤ ابريل ١٩٢٨ تسمية المحفل الأكبر لسوريا وفلسطين باسم « المحفل الأكبر الاقليمى لسوريا ولبنان »(٨٥) وفى ذلك العام بلغت المحافل التابعة للمحفل الأكبر المصرى ١٧ محفلا خارج مصر (راجع الملاحق) ، منها ١٠ محافل فى فلسطين ، ٥ فى لبنان ، محفل واحد فى كل من دمشق والبصرة وكانت سبعة محافل من العشرة التى فى فلسطين تحت رئاسة اليهود(٨٦) ٠ وفى الثلاثينات ظل عدد المحافل كما هو ، ولكن اليهود كانوا يشكلون ٨٥٪ من عضوية ١٢ محفلا منها(٨٧) ٠

ويبدو أن دخول المحفل الأكبر المصرى فى عملية التوسع الجغرافى الخارجى هذه كان سببا فى استقرار أحوال الماسونية وتحسن سمعتها فى الشام ، بعد أن ساءت من قبل على نحو ما أشار زيدان ومكاريوس ٠ كما كان سببا فى انتشار نفوذ المحفل خارج مصر ٠

رابعا : ظهور الكتب والصحف الماسونية :

يتبين من الببليوجرافيا الملحقة أن الماسونية شهدت خلال

مرحلة الاستقرار هذه نشاطا ملحوظا فى التأليف والصحافة على السواء ٠

(أ) التأليف :

ظهر أول كتاب بالعربية عن الماسونية فى القاهرة سنة ١٨٨٩ كما ذكرنا من قبل ٠ وبذل مؤلفه جرجى زيدان جهدا واضحا فى جمع مادته التاريخية وتحبيبها الى القارىء ٠ ثم تلاه شاهين مكاريوس الذى بلغت كتبه عشرة ، منها واحد مترجم طبعه وعقب عليه بفصل تاريخى عن الماسونية فى مصر ٠ وكان أول كتاب يظهر لمكاريوس سنة ١٨٩٥ بعنوان « الآداب الماسونية » ٠ وتعد كتبه العشرة رقما قياسيا فى هذا المجال لم يتخطه أحد بعده ٠ وبلغت حصيلة المرحلة كلها من الكتب ٣٥ كتابا وكتيبا بعضها غير معروف المؤلف أو الناشر ، وبعضها فنى من النوع الذى يعنى بشعائر الماسونية ، ولاسيما الكتب الخمسة التى وضع ادريس راغب اسمه عليها ٠ وقد طبع معظم هذه الكتب بمطبعة « المقتطف » التى كان يديرها مكاريوس ٠ ومن الملاحظ أن العصر الذهبى فى التأليف عن الماسونية يقع فى الفترة من ١٨٨٩ الى ١٩١٠ ٠ ففى تلك الفترة التى انتهت بوفاة مكاريوس ظهر ٢٤ كتابا من مجموع الكتب السبعة والثلاثين ٠ ومن الملاحظ أيضا أنه لم يظهر فى مصر خلال المرحلة كلها أى كتاب معاد للماسونية كما حدث فى لبنان ٠

وابتداء من كتاب « تاريخ الماسونية العام » لجرجى زيدان غلب على التأليف الماسونى طابع الترجمة والتلخيص من الكتب الأوربية ، وهذا أمر طبيعى ولاسيما فى الكتابة عن الجوانب التاريخية العامة ، والشعائرية الخاصة ، للماسونية ٠ كما غلب طابع الدعاية ، وهذا أمر طبيعى أيضا فى ظل حماسة أنصار الماسونية الأوائل التى قادتهم الى التعميمات والمبالغات ٠

لقد اهتم جرجى زيدان – على سبيل المثال – بنقل كل مايخص الرجوع بالماسونية الى أقدم العصور ، وزاد عليه القياس والاستنباط من عنده ٠ ففسر الأبنية الضخمة فى مصر القديمة كالمعابد والمقابر وما يوازيها فى الأندلس ومصر الوسيطة كالمساجد والقصور ، على أنها من نتاج الماسونيين الأوائل ٠ وترجم ما يعرف فى الماسونية باسم « لائحة يورك » نسبة الى مدينة « يورك » الانجليزية ، وهى لائحة جمعت من الأوراق الماسونية القديمة ، ووضعت عام ٩٢٦ ، وضمت كثيرا من المواد التى مازال العمل جاريا بها عند الماسونيين المحدثين ٠ ومن هذه المواد ما يتعلق باحترام الله والاخلاص للسلطان ، والاذعان لأوامر الحاكم ، ومساعدة الأخ الماسونى ، وكتمان الأسرار عن الغير ، والامتثال لأوامر الرؤساء ، ومعاونة الماسونيين الوافدين(٨٨) ٠

واهتم مكاريوس ، من جهة أخرى ، بكل هذه الأمور ٠ ولكن مما يسترعى النظر فى كتبه وكتب ادريس راغب ذات الطابع الفنى، أو الشعائرى ، أنها تكشف عن صلة واضحة بين اليهودية والماسونية ففى كتابه « الأسرار الخفية فى الجمعية الماسونية » يقول ان « الأستاذ الأعظم الأول هو سليمان بن داود النبى الملك »(٨٩) ٠ وفى الفصل الخاص بتأسيس المحافل يقول ان من شروط التأسيس أن يقدم تسعة أساتذة عريضة الى المحفل الأكبر باسم الأستاذ الأعظم ، فاذا وافق الأخير يحضر بنفسه لتكريس المحفل رسميا ويتلو دعاء لمهندس الكون الأعظم ، ثم يقرأ على الحاضرين المزمور المئة والثالث والثلاثين من مزامير داود الذى جاء فيه ذكر « ندى حرمون النازل على جبل صهيون لأنه هناك أمر الرب بالبركة حياة الى الأبد » ٠ ثم ينادى الخطيب الحاضرين بقوله : « اشكروا يا اخوانى بصوت عال يهوه الذى شيدت القبة والهيكل لعبادته وذكر اسمه الأعلى » وبعدها يتلو دعاء آخر يسمى « دعاء

التخصيص » ثم يقف الاخوان فيتلو الرئيس دعاء ثالثا يستهله بقوله : « نسألك يا الهنا واله بنى اسرائيل يامن لا اله غيرك » ويروى فيه حكاية بناء سليمان بيتا لاسم الرب وبيتا لملكه(٩٠) ·

ليست الصلة بين هذه الشعائر وبين التراث اليهودى فى التوراة وغيره خافية · ولا اعتراض على أن تستعين هذه بتلك ، ولكن الالحاح على الشعائر والرموز اليهودية لا يمكن أن يأتى عفوا هنا ، ولاسيما اذا علمنا أن الماسونية تلح على احترام الأديان دون الالتزام بدين معين ، والمعنى الواضح هنا هو أنها تخلط الشعائر والرموز اليهودية بشعائرها ، وأن هذا الخلط ليس من السهل أن يأتى عن طريق المسيحيين من منظريها ، ولا عن طريق المسلمين من أنصارها · واذا جاء على سبيل التسامح فلابد أن يكون لليهود يد فيه ، أو فى اقتراحه ·

وتتأكد هذه الصلة الواضحة بين الشعائر والرموز اليهودية والماسونية فى الكتب التى وضعها ادريس راغب ، ولاسيما فى كتابه « الدرجة الأولى » ·· ففى هذا الكتاب شرح لبعض رموز هذه الدرجة (درجة التلميذ أو المبتدىء) عن طريق السؤال والجواب · ومن هذه الأسئلة سؤال عن اتجاه الريح فى الماسونية ، وجوابه : « من الشرق الى الغرب » بهدف « ترويح نفس الرجال وقت الشغل »، ولكن له معنى آخر هو أنه « رمز للريح ذى المعجزة الذى كان ضروريا لخلاص بنى اسرائيل من أسر المصريين » ومن الواضح أن هذا المعنى مقحم على السياق اقحاما ، لأنه لا توجد علاقة بين الريح وخروج بنى اسرائيل من مصر الا على سبيل التذكير بما حدث لهم من أسر وتحرير · وهذا ماتمضى فى توضيحه الأجوبة بعد ذلك ، فتقص قصة ارادة مهندس الكون الأعظم فى تخليص « شعبه المختار (الاسرائيليين) من أسر المصريين » وما حدث

لهم فى البحر ، حتى وصلوا سالمين الى بر الأمان · « وقد أحيى ذكر هذا الخلاص بنو اسرائيل فساروا أياما فى الصحراء ينشدون ويشكرون الله القادر الذى نجاهم · ومن هذا التاريخ اعتبر أن الريح الشرقى موافق للماسونية »(٩١) ·

هذه الاشارات وغيرها لم يظهر لها مقابل من الاشارات المسيحية أو الاسلامية ، مما يؤكد عندنا احتمال اشتراك اليهود – فى مرحلة مبكرة – فى وضع شعائر الماسونية ورموزها · وليس من المستبعد – بالطبع – أن يكونوا ساهموا فى تنشيط الماسونية الرمزية وبعثها على أنقاض الماسونية العملية · فقد ظهرت الماسونية الرمزية فى القرن الثامن عشر ، فى وقت كانوا مضطهدين فيه فى كثير من أرجاء أوربا ·

ومن جهة أخرى اتصل بالتأليف عن الماسونية نشاط آخر تمثل فى شكلين محددين من أشكال الكتابة ، وهما المقال والقصيدة ·

أما المقال فكان وسيلة الاعلام الأساسية عند الماسونيين حتى فى مرحلة التأسيس السابقة ، كما سبق أن رأينا عند الحديث عن صحف تلاميذ الأفغانى · وظلت للمقال هذه المكانة فى مرحلة الاستقرار هذه · وربما كانت مقالات مجلة « المقتطف » أكثر اعتدالا فى لهجتها الدعائية من مقالات الصحف الأخرى · ومنها مقال بعنوان « الماسونية فى البلاد العثمانية » ظهر بدون توقيع فى عدد فبراير ١٩١٠ · ويستهله المحرر بقوله :

« من غرائب أطوار الانسان أن غرضه يعميه عن رؤية الحقائق ، ولو ظهرت أمامه واضحة مجسمة · مثال ذلك اتهام بعض الناس للجمعية الماسونية بأنها جمعية سياسية معادية لكل سلطة مدنية · وهم يرون أعظم الملوك والوزراء ورجال السياسة

من أعضائها العاملين فيها ، المؤيدين لها وهم من دول مختلفة وأمم متباينة • بل كيف يعقل أن يكون لهم غرض سياسى يجمعهم وهم مختلفون سياسة تمام الاختلاف • ولا ينكر أن الماسونية تسعى لتحرير الناس من قيود الجهل والظلم والاستبداد ، وهى الغاية التى تسعى اليها الآن كل الحكومات الحكيمة الرشيدة • ولذلك لاتناقض بين مقاصدها ومقاصد الملوك والوزراء وسائر رجال السياسة ، فينتظمون فى سلكها ويؤيدونها • وحسبك شاهدا ما فعلته جمعية الاتحاد والترقى العثمانية • واكثر أعضائها من الجمعية الماسونية المرتشدين بارشادها » •

وعلى هذا النحو من التناول الهادىء ، الذى يبث الدعاية ولا يصرح بها ، يمضى المحرر فيطبق منطقه على ما تتهم به الماسونية من عداء للأديان مع أن فى سلكها – كما يقول – عددا كبيرا من رؤساء الأديان المختلفة • ثم يدلل على أن الماسونية لا غرض لها « الا أن يعين أعضاؤها بعضهم بعضا فى أمورهم الزمنية ، وأن يسعوا فى كل ما يعلى شأن البشر » ويكون دليله أن المحافل الانجليزية أنفقت فى العام الماضى (١٩٠٩) مبلغ ٥٢ ألف جنيه على مساعدة الأرامل والمعوزين ، و ٤٤ ألف جنيه على تعليم البنات ، و ٣٦ ألف جنيه على تعليم الصبيان • وينتقل الى الاعتراض على الماسونية بأن فيها أسرارا لا تفشيها ، فيقول : « ان هذه الأسرار محصورة فى اشارات يعلم الماسون بعضهم بعضا بها ، وفى رموز تستعمل فى كتبهم كالرموز التى يستعملها الرياضيون فى كتب الجبر ، وقلما يتعذر فهمها على من يطلب ذلك » •

يتحدث المحرر ، بعد هذا ، عن فضل الماسونية على العثمانيين فيقول انها « بثت فى نفوس أعضاء جمعية الاتحاد والترقى روح

الحرية ، وبها اقتدوا فى انشاء جمعيتهم التى فكت قيود الاستبداد » وأخيرا يورد أخبار حفل أقامه الماسونيون فى القاهرة بمناسبة افتتاح محفل جديد باسم «محفل نيازى» بطل الحرية العثمانية ، يرأسه نعوم شقير • ويضيف أن من شهود الحفل « عطوفة ادريس بك راغب الرئيس الأعظم للمحافل الماسونية المصرية » ، وأن كلمات وخطبا ألقيت خلال الحفل فى فضل الماسونية ، بالاضافة الى قصيدتين نشر المحرر نصهما ، الأولى لولى الدين يكن الشاعر التركى المقيم بالقاهرة ، والأخرى لنعوم شقير المهاجر الشامى المسيحى ورئيس المحفل الجديد(٩٢) •

ومن الملاحظ أن انتصار « حركة تركيا الفتاة » وتقويضها لحكم السلطان عبد الحميد كان لهما أثر ايجابى فى الحركة الماسونية فى مصر خلال تلك الفترة • وقد استغل دعاتها وجود بعض الماسونيين فى الانقلاب العثمانى فحاولوا الاستفادة من ذلك فى دعايتهم – كما فعل محرر المقتطف – ولاسيما بين المثقفين فى مصر الذين كان كثير منهم يكره استبداد عبد الحميد فى تركيا •

وأما القصيدة فقد لعبت دورها – كشكل أدبى – فى الدعاية للماسونية خلال المرحلة • ولكن لماذا اهتم الشعراء بالماسونية ؟

الجواب ينطبق على الصحفيين والكتاب الذين ناصروها فى كتاباتهم ، أى بعد أن تمسونوا اذا صح التعبير • وهكذا الحال مع الشعراء الذين ارتبطوا منذ القدم بالتقليد المفسد للشاعرية المعروف باسم « شعر المناسبات » ويبدو أن سبب « تمسون » الكثيرين من هؤلاء وأولئك يرجع الى الشعارات الماسونية البراقة فى الحرية والاخاء والمساواة ، وهى شعارات كانت تحلق فوق أرض تموج – وقتها – باستبداد الولاة العثمانين والنزعات والصراعات

الطائفية فى الشام بصفة خاصة ، مما أدى الى حماسة كثيرين من المثقفين – ومنهم الشعراء – للماسونية ٠

وبالرغم من التصنع الواضح فى الأبيات الشعرية الثلاثة التى مرت بنا فى مدح الخديو توفيق والماسونية ، فهناك شعراء موهوبون كتبوا عن الماسونية بعد أن انخرطوا فيها وتأثروا بتعاليمها ٠٠ وأبرز هؤلاء شعراء المهجر الأمريكى الشمالى : جبران وأمين الريحانى وميخائيل نعيمة وايليا أبو ماضى ٠ وقد تمسونوا بعد هجرتهم كنوع من الاحتماء – فى الغالب – من الغربة ، والحماية لأنفسهم كأقلية ، والاقتراب من المجتمع الجديد ٠

أما فى مصر فقد تمسون عدد من الشعراء منهم ولى الدين يكن التركى المهاجر وابراهيم اليازجى وخليل مطران ونعوم شقير المهاجرون من الشام ، فضلا عن اسماعيل صبرى وحفنى ناصف ومحمود رمزى نظيم وحسين شفيق المصرى وأحمد زكى أبو شادى ٠ وقد ظهرت أسماء هؤلاء فى قوائم أعضاء المحافل عبر مرحلة استقرار الماسونية ، ولكنهم لم يستجيبوا جميعا للكتابة عنها شعرا ٠

واذا عدنا الى الحفل الذى أشارت اليه « المقتطف » قبل قليل فقد ألقى فيه ولى الدين يكن قصيدة استهلها بقوله :

ياعصر قد حسدتك اليوم أعصار
الأمر شورى وكل الناس أحرار

ومنها هذه الأبيات التى يستخدم فيها مفردات ورموزا ماسونية :

تنوع الخير مرئيا ومستمعا
فلتجتل الخير أسماع وأبصار

٠٠٠ هذا الاخاء بنا شدت أواصره
تقسمته قلوب فهو أشطار
يسير من مهج الى مهج
فينا فتمضى الليالى وهو سيار(٩٣)

وألقى نعوم شقير – الأقل موهبة – قصيدة محييا نيازى بك أحد أقطاب الانقلاب العثمانى فقال :

فتى الأحرار لا تخشى الصعابا
ولا تحسب لنائبة حسابا(٩٤)

واذا كانت هذه وتلك من قصائد المناسبات ، فقد شدت المناسبات الماسونية عددا آخر من الشعراء أبرزهم محمود رمزى نظيم وأحمد زكى أبو شادى ٠

نشر نظيم عددا من قصائده الفصحى والشعبية فى صحف العشرينات الماسونية ٠ ومنها أبيات ارتجلها فى تهنئة الشيخ أحمد مخلوف الذى انتخب سنة ١٩٢١ رئيسا لمحفل المروءة رقم ٢٠٣ ٠ وفيها يقول :

يامعشر الماسون أنتم عصبة
الله تمم نورها وسناءها
تتعاونون لنشر كل فضيلة
أخفى الزمان عن العيون رواءها
ان المروءة لا تزال مصونة
بين الورى ما دمتموا نصراءها(٩٥)

وكان نظيم قد انضم الى هذا المحفل فى ٣ سبتمبر من ذلك العام ٠ أما أبو شادى فقد تحمس للماسونية خلال العشرينات أيضا

ربما لعلاقته الوثيقة بالشاعر خليل مطران ، وربما لأسباب أخرى · وانضم الى محفل فى بورسعيد فى الفترة ذاتها · وكتب قصيدة بعنوان « الماسونية » ألقاها أمام وفد من المحفل الأكبر كان قد جاء الى بورسعيد لتثبيت محفلها · ويستهل القصيدة بقوله :

باســـم الاخـــاء أحيى كل مأثرة
فيكم وانصـــاف مغبـــون ومظلوم

ويقول عن الماسونية بعد استخدام كثير من مفرداتها الشائعة :

لها المســاواة نبراس كأن بهــا
سرا من الشمس فى وحى وتعميم(٩٦)

غير أن هذا الشعر الماسونى لم يستمر طويلا بعد العشرينات، وكأن فورته رافقت الفورة الماسونية خلال الحقبة ذاتها ، ثم هبطت بهبوطها ·

(ب) الصـــحف :

يتبين من دراسة الصحف فى تلك المرحلة ، مرحلة الاستقرار أن عدد الصحف التى اهتمت بالماسونية اهتماما عاما كان عددها عشر صحف بين يومية وأسبوعية وشهرية · ومع أن معظم هذه الصحف تفاوتت أعمارها بين القصر مثل « الفلاح » و « الصادق » والمتوسط مثل « اللطائف » و « النظام » فمنها صحيفتان عمرتا طويلا ، وهما « المقتطف » (٧٦ عاما) و « المقطم » (٦٤ عاما) كما يتبين أن عدد الصحف التى اهتمت بالماسونية اهتماما خاصا ، أى تخصصت فيها ، كان عددها سبع صحف · وكانت أولى هذه الصحف المتخصصة « المجلة الماسونية » التى أنشأها يوسف لفلوفة فى الاسكندرية سنة ١٩٠١ ، وعهد بادارتها وتحريرها الى نقولا سابا · ولكن هذه الصحف السبع غلب عليها قصر العمر فلم تعش

أطولها عمرا أكثر من تسع سنوات ، وهى « الجريدة الماسونية » التى أنشأها نقولا سابا فى الاسكندرية سنة ١٩٠٣ · ومع ذلك امتدت هذه الصحف المتخصصة الى خارج القاهرة والاسكندرية ، حين أنشأ محمد سيف النصر مجلة « الاخاء » فى المنصورة سنة ١٩٣٠ ·

(أ) الصحف ذات الاهتمام العام :

كانت الماسونية تحظى فى هذه الصحف بقسط ملحوظ ، ولكنه محدود فى النهاية داخل اطار الاهتمامات الأخرى المتنوعة · ومع ذلك كانت تحرص على نشر أهم أخبار الحركة الماسونية وأحداثها · وكان بعضها يتولى الرد على أسئلة القراء الخاصة بالماسونية · وتعد « المقتطف » من أبرز هذه الصحف التى كان يغلب عليها — فى الوقت ذاته — طابع التحيز · ولننظر هنا فى بعض ردود « المقتطف » على أســئلة القراء لنرى الى أى مدى كان التحيز والدعاية والمحاماة :

١ — فى عدد ابريل ١٩١٧ ثلاث مواد ، فى باب كانت المجلة تسميه « المسائل » ، ردا على ثلاثة أسئلة من أحد القراء (الخواجه ايلى بلتنر) من مصر عن فائدة الجمعيات الماسونية · وجوابه : « الغرض الأول من الماسونية التعاون على البر · فاذا قام أعضاؤها بما يطلب منهم ، وتعهدوا به عاشوا عيشة فاضلة ، وساعدوا بعضهم بعضا فى كل ماينفعهم ولايضر غيرهم» · أما السؤال الثانى فعن صحة انتظام ذوى المقامات فى الماسونية وسبب ذلك · وجوابه : «ذلك صحيح · وفى الماسونية مرغبات أخرى للاشتراك فيها غير ما تقدم مثل الرتب والنياشين وحفلات الأنس · والملوك وأصحاب المقامات أميل من غيرهم الى هذه الأمور · فلا عجب اذا اشــتركوا فى الماسونية · بل العجب اذا لم يشتركوا فيها » وأما السؤال الأخير

فعن قبول النساء فى الماسونية · وجوابه : « ان بعض الجمعيات الماسونية يقبل النساء بين اعضائها ، ولكنها قليلة · والغالب انها خاصة بالرجال »(٩٧) ·

٢ ــ فى عدد مايو ١٩٢٦ مادة فى باب « المسائل » ردا على سؤال لقارىء من العراق حول حقيقة الماسونية · وجوابه : « هى جمعية تعاون لا تتعرض للدين ولا للسياسة · ولذلك ينتظم فيها الناس من كل الأديان ·· وغايتها التعاون ·· وهى تهتم باختيار أعضائها من فضلاء الأنام ، وتبقى اشاراتها سرية ، حتى لايستعملها أناس لا خلاق لهم فيفسدوا عليها عملها · ولما كان اكثر أعضائها من المتعلمين المتهذبين الذين لا يتسلط عليهم التدجيل شنأها بعض المتجرين به ، وبعض رجال الأديان الذين توهموا أنها مضادة لدينهم ·· هذا ، وغنى عن البيان أن الماسون غير معصومين فى انتقاء الأعضاء ، ولكنهم يبذلون جهدهم كى لا يخدعوا ، ولا الماسونية تكفل تغيير الأخلاق الفطرية ، ولكنها تسعى الى ذلك جهدها بالبحث والمعاشرة »(٩٨) ·

(ب) الصحف ذات الاهتمام الخاص :

كانت الماسونية تحظى فى هذه الصحف بنصيب الأسد ان لم يكن بمجموع الصحيفة · ومن الطبيعى أن تكون مثل هذه الصحف المتخصصة محدودة الجمهور والانتشار · ولهذا كان الطابع الغالب فى طريقة صدورها هو الصفة الشهرية ، ولم يكن منها سوى اثنتين نصف شهريتين ، وهما : « الجريدة الماسونية » التى أسسها فى الاسكندرية نقولا سابا سنة ١٩٠٣ ، و « الاخاء » التى أسسها فى القاهرة رحمين فرجون سنة ١٩٠٦ ، ولكن الأولى لم تستمر أكثر من تسع سنوات بين انقطاع وانتظام ، فى حين توقفت الأخرى بعد بضعة أشهر ، ولكن كان من هذه الصحف واحدة أسبوعية ، هى

« الاخاء » التى تحمل الاسم السابق ذاته · وقد أسسها فى المنصورة محمد سيف النصر سنة ١٩٣٠ ولم تستمر أكثر من عامين · بل انها لم تلتزم طويلا بالطابع التخصصى ، وتحولت بسرعة الى الصحف ذات الاهتمام العام · وكان ينطق باسم المحفل الأكبر من هذه الصحف : المجلة الماسونية ، الميثاق ·

وباستثناء « الجريدة الماسونية » التى اتخذت شكل الصحيفة ذات القطع القريب من التابلويد حرصت الصحف الست الأخرى على اتخاذ شكل المجلة التى يتفاوت قطعها بين قطع « المقتطف » وقطع المجلات الأسبوعية المعتادة · ونظرا لتخصص هذه الصحف فقد كانت تحرص على نشر الأخبار والتفصيلات الصغيرة التى تضيق بها الصحف ذات الاهتمام العام ·

من هذه الأخبار ما نشرته « المجلة الماسونية » فى سبتمبر ١٩٠٢ عن محفل « نوفا أورورا » ، وهو اسم ايطالى معناه « الفجر الجديد » · يقول الخبر ذو التعليق :

« ساءنا ما وصل الينا من أن أحد اخوان هذا المحفل قد أباح لأحد الاخوان الغائبين عن احدى جلساته أسرار أعمال تلك الجلسة ومادار من الأقوال فيها بشأنه · فترتب على ذلك أن الأخ الذى استرق تلك الأسرار جاء مؤنبا أحد المحترمين الذين كانوا حاضرين فى الجلسة ، وهو عضو فى المحفل ، ومنبه فيه ، على ما قاله بشأنه ·· وقد أخبره بكل ما دار من المذاكرات فى المحفل · فعلم أن الذى أباح له ذلك هو أحد الاخوان الأساتذة · وترتب على ذلك تقديم استعفاء ذلك المحترم من عضوية المحفل ومن وظيفته ، بقوله انه لم يعد له ثقة بأن يبدى رأيا فى المحفل بشأن أى كان ، خشية اباحة أسرار الأعمال · وقد علمنا أن المحفل نظر لهذه المسألة بعين الأهمية · وعين لها لجنة للبحث والتنقيب · وسيحاكم ذلك الأخ الثرثار على ما بدر منه مما يخالف قانون العشيرة »(٩٩) ·

واذا كان هذا الخبر التعليقى أو التعليق الخبرى يكشف عن حرص الماسونية على سرية ما يدور داخل جلسات محافلها ، فقد حرصت الصحف الماسونية أيضا على نشر أوامر الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر ، وأخبار تحركاته ومايهم الماسونيين من شئون · ومن ذلك ما نشرته « الجريدة الماسونية عن شروط قبول « الأجانب » ، أى غير الأعضاء ، فى الماسونية ، وهى أربعة : أن يبلغ سن ٢١ سنة الا اذا كان من أولاد الاخوان الأساتذة وعندئذ يجوز قبوله فى سن الثامنة عشرة ، وأن يكون سليم الجسم خاليا من العاهات المعدية ، وأن يكون حاصلا على العلوم الابتدائية بقطع النظر عن اللغة الأجنبية ، وأن يكون ذا صفة شريفة ولديه من الوسائل مايكفى لعيشه بحيث يكون ايراده السنوى ١٢٠ جنيها على الأقل(١٠٠) · وهذه شروط عامة منقولة عن شروط الماسونية فى البلاد التى نشأت فيها · وهى ان دلت على شىء فانما تدل على أن الماسونية ليست ناديا أو منتدى مفتوحا بغير تمييز طبقى أو اجتماعى ·

من الموضوعات التى نشرتها « الجريدة الماسونية » فى ذلك الوقت موضوع حول علاقة الماسونية بامور الدين · ويتلخص فى أن أحد الاخوان (اسمه فارس أفندى) من لبنان جاء الى مصر مبعوثا من « دولة المتصرف » هناك بغرض استمالة الرئيس الأعظم للماسونية المصرية ومحافلها لمساعدته « فى مقاومة الاكليروس اللبنانى وتجديد انتخابه على المتصرفية » ولكن محاولته لم تجد الترحيب طبقا للفقرة الرابعة من محضر الجلسة التى عقدها المحفل، وهى : « تمنع الماسونية من اجتماعاتها منعا باتا كافة المداولات الدينية والسياسية » واختتمت الجريدة الموضوع بأن « الماسونية المصرية جمعية خيرية أدبية ولا عمل لها الا اعانة الفقير ومساعدة المحتاج »(١٠١) ·

ولم تكن هذه الصحف المتخصصة تقتصر على الأخبار والتعليقات والموضوعات الماسونية · فقد كان شعار الجريدة الماسونية « جريدة اخبارية انتقادية جرة » وكان شعار المجلة الماسونية « مجلة ماسونية أدبية علمية اجتماعية تاريخية » وكان شعار مجلة الميثاق « مجلة ماسونية علمية أدبية فكاهية مصورة » ، وهكذا ·

ومع ذلك ظلت هذه الشعارات نوعا من الطموح الذى لم يستطع أصحابه تحقيقه ، وان كانت أعداد هذه الصحف لم تخل من مواد أدبية أو طرائف بصفة خاصة · فقد كانت « المجلة الماسونية » — على سبيل المثال — تنشر — من حين لآخر — قصائد لأدباء المهجر : جبران ونعيمة وأبو ماضى والريحانى · وكان بعض هذه الصحف ، ولاسيما « الأخبار الماسونية » ، يخصص قسما باللغة الفرنسية · وكان القسم الفرنسى فى « الأخبار الماسونية » الذى حرره « الأخ الفارس » ألبير بزيات يكاد يكون الأصل فى المجلة ، فى حين أن القسم العربى فيها الذى حرره « الأخ الفائق الاحترام » اسكندر فرج و « الأخ المحترم » موسى جرونشتين كان أقرب الى الترجمة عن القسم الفرنسى · ومع ذلك نشرت شعرا ومقالات ومترجمات لمحمد الهراوى ومحمد بدران ومنصور فهمى وعلى الخفيف وشكيب أرسلان على امتداد أعدادها الثلاثة الوحيدة ·

كان من بين المواد المترجمة فى هذه المجلة التعريف الرسمى — كما تسميه — للمادة الأولى من قانون ١٠ أغسطس ١٨٤٩ الماسونى · وهذا نصها :

« الجمعية الماسونية جمعية خيرية فلسفية سيارة ترتكز على مبدأين عظيمين : المبدأ الأول الاعتقاد بوجود خالق الكون الأعظم · والمبدأ الثانى الاعتقاد بخلود النفس · وموضوعها التدريب على

الاحسان ، ودرس علم الأخلاق العام والعلوم والفنون ، وممارسة جميع الفضائل • وان شعارها فى كل زمان ومكان هو الحرية •• والمساواة •• والاخاء •• »(١٠٢)

وعرفت المجلة الاله عند الماسونية بقولها :

« اله الماسون واحد عام غير مخلوق ، أبدى ، كلى القدرة ، عالم ، رؤوف ، خـــالق لكل ما يوجد بقوته القاهرة ، مدبر للعالم بحكمته ، يعامل عباده بالرأفة الأبوية ، منبع كل نور وعدالة ، أنموذج الكمال ، يمتنع عن العقول أدراك ذاته ، ولايعرف الا بصفاته لهذا ترى الماسونيين يكتفون بالتعبير عنه بقولهم : مهندس الكون الأعظم »(١٠٣) •

وعرفت الخلق الماسونى بقولها :

« الخلق الماسوني ليس كاثوليكيا ، ولا بروتســـتانتيا ، ولا يهوديا ، ولا محمديا ، ولكنه عام »(١٠٤) •

هذه المقتطفات تتردد بكثرة — وان كانت بعبارات أخرى — فى الكتابات الماسونية الفرنسية بصفة خاصة، وهى كتابات تحاول — كما رأينا — أن تضفى طابعا فلسفيا على الماسونية ، وأن تربط هذا الطابع بشعار الثورة الفرنسية المشهور •

ومن الطبيعى أن تهتم الافتتاحيات ،أو المقالات الافتتاحية ، فى هذه الصحف بالشؤون الماسونية • وفى بعضها تسجيل لكثير مما مر على الماسونية فى مصر من تطورات • ففى إفتتاحية العدد ٩ من السنة ٣ للمجلة الماسونية بعنوان « يضع القارىء عنوانها » يطرح المحرر قضية ماسونية خطيرة • فهو يبدأ بالحديث عن انتشار الماسونية فى مصر ، ولكن سرعان ما يدخل فى صميم القضية حين يقول : « يدخل فى العشيرة كل طامع بمساعدتها • فاذا لم تساعده

طمع بأموالها ، فاختلس ما تصل اليه يده وتسعه ذمته » وتلك — كما يقول — قضية من قضايا بشاعة الماسونية فى القطر المصرى • ولكن هناك غيرها « من نحو حب الرئاسة ، والتشامخ ، والتمسك بالرأى، والتدليس فى الوجوه ، والنميمة ، والوقيعة ، الى آخر ما يتسفل به الســـافل ويطاوعه ضميره الساقط » واختتم المحرر الافتتاحية بالاشـــارة الى الأمر الذى أصدره الأستاذ الأعظم ادريس راغب بالتحـــرى عن طالب الالتحاق فى قلم الســوابق فى المحافظات والمديريات والقنصليات »(١٠٥) •

لعل ما أشار اليه المحرر هنا يشكل فى الحقيقة قضية أخلاقية لم تنجح الماسونية فى مداواتها • واذا كان ما كتبه يرجع الى سنة ١٩٠٢ فقد مر بنا شىء من هذا التدهور الخلقى فيما حدث للأفغانى سنة ١٨٧٩ ، وفيما صوره هو نفسه فى الآستانة بعد ذلك • وسوف نرى بعد قليل كيف أدى هذا التدهور الخلقى الى انقسام الماسونية وصراع أصحابها سنة ١٩٢٢ •

ولعله قد اتضح لنا الآن أن الفترة من ١٩٠١ الى ١٩٢٥ كانت فترة الصحافة الماسونية — بحق — فى مصر ، وعصرها الذهبى ، أى منذ صدور « المجلة الماسونية » سنة ١٩٠١ الى توقف مجلة « الميثاق » سنة ١٩٢٥ • وبعدها تدهورت الصـــحافة الماســـونية المتخصصة حتى اختفت بعد سنة ١٩٣٢ ، ولم يعد للماسونية صوت اعلامى الا فى الصحافة ذات الاهتمام العام • ولعله قد اتضح لنا الآن ايضا أن الماسونية — فيما عرضناه من كتبها وصحفها — كانت فى أساسها بضاعة الأقلية غير المسلمة ، من المسيحيين الشاميين واليهود المستوطنين ، بالرغم من اقبال المسلمين على محافلها •

النشـــــاط الاجتمـــــاعى :

ماذا كان نشـــاط الماسونية فى تلك المرحلة التى رفعت فيها شعار الخدمة الاجتماعية والبر والاحسان ؟

لقد استقرت الماسونية فى تلك المرحلة كما رأينا ، ووجدت من الحكام وممثلى الاحتلال التشجيع والمباركة ، وأصدر أنصارها كتبا وصحفا ، ونظم شعراؤها القصائد والأزجال ، وكثر عدد أتباعها وازدادت محافلهم · وأصبحت ملء السمع والبصر كما يقولون · وبلغ من شهرتها عند الناس أن المسرح المزدهر فى تلك الفترة اهتم بها وقدمها لجمهوره · ففى اكتوبر ١٩٠٧ قدمت فرقة عزيز عيد مسرحية باسم « الماسون » على خشبة دار التمثيل العربى ثم على خشبة « تياترو الشيخ سلامة حجازى » · وكانت المسرحية فرنسية فى الأصل من نوع « الفودفيل » ، أى الكوميديا الخفيفة المصحوبة بالأغانى والموسـيقى · وقد قدمت لأول مرة فى باريس فى سنة ١٩٠٥ · وهكذا لم يكد يمضى على تقديمها هناك نحو عامين حتى ترجمت وقدمت فى القاهرة · ومعنى هذا أنه كان لها جمهور · وفى سنة ١٩٢٨ التى كانت ذروة تلك المرحلة ــ كما رأينا ــ أعادت فرقة يوسف وهبى تقديم المسرحية على مسرح رمسيس واشـترك فى تمثيلها مختار عثمان ومحمد عبد القدوس ، وتغير اسـمها الى « الماسونية » وكان ذلك فى شهر نوفمبر من تلك السنة ·

وقد عرض الناقد المسرحى محمد توفيق يونس لهذه المسرحية، وذكر أن الماسونيين فى مصـر وقتها ظنوا أنها تهاجمهم فاهتموا بأمرها ، واستعلموا عنها ، حتى من الناقد نفسه · وتحدث عن الضجة التى أثارتها بسبب عنوانها ، وكيف كان الاسم سببا لاقبال الجمهور عليها ، « ظنا منه أنه سيشاهد شيئا من أسرار الماسونية المزعومة وخفاياها الموهومة · والحقيقة أن الرواية لا تتعـرض

للماسونية بخير ولا شر ، وانما تتخذ من ادعاء بعض أشخاصها أنهم ماسـونيون موضوعا لسلسلة من المواقف الفكهة والحوادث المضحكة »(١٠٦) ومن الواضح أن تقديم المسرحية مرتين على هذا النحو كان من قبيل الاستفادة من وضع الاستقرار والشهرة الذى حققته الماسونية فى تلك المرحلة ·

ومع ذلك لم يزد النشاط الاجتماعى للماسونية ، بصـفتها جمعية خيرية ، على التبرعات والولائم والمسـاهمة فى المدارس واعانة الفقراء والمحتاجين ولاسيما من أعضائها أو أسرهم · وهذه بعض الأمثلة :

١ ــ فى سنة ١٩٠٣ قرر المحفل الأكبر الوطنى مساعدة ابن الأخ المرحوم محمد الزرو ، وذلك بارساله الى المدرسة ، والانفاق على تعليمه سنويا بمبلغ ستة جنيهات · كما قرر اعتماد صرف مبلغ ٢٠ جنيها لأولاد الأخ المحترم دونيس الرئيس السابق لمحفل راغب عن سنة ١٩٠٣(١٠٧) · وفى الوقت ذاته اشترك محفل المقطم مع محفلى بدر حلوان واللطائف فى تربية عشرين تلميذا من فقراء مدينة حلوان وتعليمهم الصنائع المختلفة · وقام شاهين مكاريوس بتعليم بعضهم فى مطبعة « المقتطف » · وتعهد الثرى اليهودى سوارس صاحب سكة حديد حلوان بتسفير التلاميذ ، ذهابا وايابا ، دون مقابل(١٠٨) ·

٢ ــ فى سنة ١٩٠٧ أقام محفل الصدق الماسونى حفلا فى دار التمثيل العربى ، خصص ايراده لمشروع الجامعة المصرية ، والقى فيه الشاعر حافظ ابراهيم قصيدة مطلعها :

ان كنتم تبـذلون المـال عن رهب
فنحن ندعوكم للبـذل عن رغب(١٠٩)

٣ ـ فى سنة ١٩١١ نشرت مجلة « المنار » نقلا عن مراسل « المقطم » فى الاسكندرية أن « نخبة من الماسون ورجال الجمعيات الأخرى شارعون فى انشاء مدارس للتعليم المطلق من كل سلطة دينية يعلمون فيها التلاميذ على مذهب ابن رشد »(١١٠) ويبدو من هذا الخبر الذى قصد به الاساءة للماسونية أن المشروع لم يتحقق ٠

٤ ـ فى سنة ١٩٢١ أقام المحفل الأكبر « وليمة ماسونية » تكريما لكل من « حضرة الأخ كلى الاحترام صاحب السمو الأمير محمد على أستاذ أعظم شرف للمحفل الأكبر الوطنى وحضرة الأخ فائق الاحترام صاحب المعالى سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصرى »(١١١) وفى السنة ذاتها تبرع محفل صدق الوفا رقم ٢٠٤ بالقاهرة بمبلغ خمسة جنيهات لاعانة منكوبى حرب الأناضول(١١٢) ٠

لم يتجاوز النشاط الاجتماعى الماسونى المظاهر السابقة على أى حال ، وهى مظاهر لا تجعله متفردا فى عصره ، ولا تضفى عليه مكانة من نوع خاص ٠ واذا كان هذا النشاط مطلوبا بحكم القانون الماسونى السابق ذكره فقد كان محدودا بوجه عام ٠

التطورات السلبية :

يمكن أن نعد التطورات السابقة جميعا تطورات ايجابية خدمت الماسونية ودعمت استقرارها فى تلك المرحلة ٠ ومع ذلك شهدت الماسونية بعض التطورات السلبية التى أثرت فى مكانتها وأدت الى تمزقها وتفتتها ، ولا سيما خلال المرحلة التالية ٠ ويمكن أن نجمل هذه التطورات فى ثلاثة هى : الهجوم المضاد ، التورط السياسى ، الانقسام ٠

(أ) الهجوم المضاد :

لم تجد الماسونية أرضا مفروشة بالسجاد على الدوام فى

مصر منذ دخولها ٠ فقد كانت الأشواك تهدد مسيرها فى كثير من الأحيان ، ولاسيما فى مرحلة الاستقرار هذه وما تلاها ٠ وتمثلت هذه الأشواك فى الهجوم المضاد الذى واجهته بين حين وآخر ٠ وبالرغم من أن هذا الهجوم كان محدود الانتشار ، لا يلقى أى عناية من الصحف التى يصدرها الشاميون المسيحيون ، بما فيها « الاهرام » ، فقد ظل قائما يجد متنفسا له فى الصحف ذات الاتجاه الاسلامى مثل مجلة « المنار » والصحف ذات الاتجاه الليبرالى مثل جريدة « السياسة الأسبوعية » وكثيرا ما كان هذا الهجوم يبدأ من نقطة التغلغل اليهودى فى الماسونية ٠

ومن أبرز ما كتب فى هذا المجال مقال بعنوان « الخطر اليهودى » لمحمد عبد الله عنان ، نشرته « السياسة الأسبوعية » فى يوليو ١٩٢٨ ٠ وفيه تحدث الكاتب عن خطر اليهود وما يسميه هؤلاء « خصومة السامية » ، أى العداء للجنس السامى ٠ وأشار الى ما تعرض له حين أصدر كتابه « تاريخ الجمعيات السرية » من الحملات العديدة فى الدوائر والصحف اليهودية فى مصر وغيرها ٠ وكان قد تناول فى هذا الكتاب تاريخ الجمعيات الماسونية ، وتغلغل اليهود فيها ٠ ثم أشار الى أعراض هذا الخطر وكيف أنها تتمثل فى المحاولة الخفية المنظمة لاستعباد العالم ومحو كل دين عدا اليهودية ٠ وقال : « ان فكرة فوز اسرائيل على أمم الأرض جميعا مازالت تتقد فى صدور بنى اسرائيل ، وتتخذ فى عصرنا نوعا من العقيدة المقدسة ، حتى فى أذهان المتنورين والأحرار من مفكريهم »(١١٣) ٠

فى الأسبوع التالى نشرت « السياسة الأسبوعية » تعليقا على هذا المقال لمحمد كامل حسن من مدينة الزقازيق بعنوان « الخطر اليهودى أيضا : البناية الحرة فى مصر » وفيه أيد الكاتب ما جاء فى المقال السابق عن « وجوه الخطر الماحق الذى سوف يداهم

العالم يوما ما ، والعالم يسبح فى جو الخيال ، تاركا قادة اليهود يعملون فى الخفاء دون أن يثيروا الريب والشكوك بعملهم هذا تحت ستار جمعيات الاخاء التى يسمونها البناية الحرة » ثم أضاف المعلق أنه بدأ حياته الماسونية منذ خمسة أعوام تقريبا · فقد دخلها باغراء الدعاية لها فى التضحية وخدمة الانسانية ــ كما يقول ــ ولكنه لم يعثر الا على نقيض تلك « المبادىء الغرارة الفاتنة » · بل وجد أن « أغلبية تلك الفئة (الماسونية) هم اليهود وهم الذين يقودون العشيرة تحت هذا الستار الخلاب » ، وأن الماسون هم أظهر القرائن وأقواها على وجود الخطر اليهودى · واختتم تعليقه بأن « هناك من الأسرار الخفية مالو أذيع لروع العالم وأخطأ التقدير فى حكمه، وأمسى يرى تلك الفئة بالعين المجردة انما تعمل لهدم بقية الأديان دون دينهم » ووعد بالتكاتف لفضح الماسون واليهود(١١٤) ·

وبالرغم من أن عنان والمعلق على مقاله لم يعودا الى الموضوع بعدها ، ولم يف المعلق بما وعد ، فقد انصرفت الجريدة عن الخوض فى الموضوع ، ونشرت فى أعقاب ذلك ما يشبه الاعلان عن براءة الماسونية مما نسب اليها · ومع ذلك ظل هذا المقال والتعليق عليه أعلى مظاهر الهجوم المضاد وأكثرها جدية فى تلك المرحلة ·

(ب) التورط السياسى :

لعلنا لمسنا الحاح الماسونية ، من الناحية النظرية على الأقل، على عدم التورط فى السياسة أو الدين · ومع ذلك لم تنج الماسونية فى مصر من هذا التورط ، لا فى المرحلة السابقة ــ مرحلة التأسيس ــ كما رأينا ، ولا فى هذه المرحلة التى رسخت فيها واستقرت أمورها · وقد تدرج التورط فى هذه المرحلة من الاحتجاج على نفى سعد زغلول ومناشدة الملك فؤاد التدخل لاطلاق سراحه

ــ كما مر بنا ــ الى مناشدة أهل فلسطين التزام الهدوء والسكينة ومشاركة اليهود فى بناء الوطن المشترك ·

أما الاحتجاج على نفى سعد ومناشدة الملك التدخل لاطلاق سراحه فيبدو أن الموجة العارمة فى البلاد وقتها ضد الانجليز وتصرفاتهم هى التى دفعت « السلطة الماسونية » الى اعلانه · فقد قدم عبد المجيد يونس ــ كاتب السر الأعظم فى المحفل الأكبر ــ ذلك الاحتجاج بكلمة عنوانها « الماسونية والحالة الحاضرة » ، أشار فيها الى ماردته الصحف وقتها (يناير ١٩٢٢) عن سكوت المحفل الأكبر ازاء ما يحدث فى البلاد ، وصمته عن الاحتجاج على أعمال السلطة العسكرية · وأضاف :

« ان من عادات الماسونية ، بل واجباتها أن تعمل فى الخفاء ولا تعلن أعمالها ، ولكن حيث أنه مطلوب من المحفل الأكبر بالحاح أن يعلن ما فعله فى الظروف الحاضرة فانى أرسل لحضرتكم (يقصد مدير المجلة الماسونية) صورة من الاحتجاج الماسونى الذى سبق رفعه للشروق العظمى والمحافل الكبرى الماسونية · وقد وقع هذا النداء الأستاذ الأعظم ادريس »(١١٥) ·

وأما مناشدة أهل فلسطين التزام الهدوء ومشاركة اليهود فى بناء الوطن المشترك فله قصة طريفة · وتتلخص هذه القصة الطريفة فى أن حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية توقع وأنصاره فى مطلع سنة ١٩٢٢ أن يقوم عرب فلسطين ــ كعادتهم ــ بأعمال عنف ضد اليهود أثناء احتفالاتهم بمولد نبيهم موسى ، فطلب من ممثل المنظمة فى القاهرة العمل على توجيه بيان من بعض أهل الثقة فى مصر الى عرب فلسطين لحثهم على التزام الهدوء أثناء تلك الاحتفالات التى يشهدها يهود من مختلف بلاد العالم · وتوصل

مندوب المنظمة عن طريق أحمد زكى باشا مدير دار الكتب (« شيخ العروبة » فيما بعد) الى طريقة لاصدار هذا البيان عن رئاسة الماسونية فى مصر ، التى يمثلها المحفل الأكبر الوطنى المصرى ، مقابل ألف جنيه ·

لقد نجحت المحاولة الصهيونية بالفعل ، وأصدر المحفل الأكبر البيان المطلوب بتاريخ ٢ ابريل ١٩٢٢ ، وهو موعد سابق على موعد احتفالات المولد · ووقعه ادريس راغب الأستاذ الأعظم للمحفل وهيئة مكتبه · وكان بعنوان « نداء الى أهالى فلسطين » من « المحفل الأكبر الوطنى المصرى للبنائين الأحرار القدماء المقبولين » وقد كتب بصيغة خطابية ، ووجه الى جميع فئات فلسطين وطوائفها كبارا وصغارا ، رجالا ونساء · ودعا الجميع الى افساح المجال لليهود فى سبيل فائدة الوطن المشترك وعظمته ، وتوفير أسباب السلام والوئام والتسامح وحقن الدماء · وخص عرب فلسطين بالعمل على تحقيق هذه المطالب · وعد كلماته ممثلة لمصر ، الشقيقة الكبرى · (راجع نص النداء فى الملاحق) ·

ويبدو أن هذا النداء وصل أهل فلسطين عن طريق المنشورات لا الصحف · ثم مالبثت الصحف فى مصر أن أشارت الى وصوله الى أيدى الفلسطينيين · وعندئذ نشرت جريدة «النظام» النص الكامل للنداء تحت عنوان « العشيرة الماسونية والمحفل الأكبر الوطنى المصرى » ومع أن الجريدة كانت من الصحف المهتمة بالماسونية ، وكان صاحبها ومحررها سيد على الحريرى ماسونيا فقد وقعت الموضوع بتوقيع « ماسونى متألم » ، وأغلب الظن أنه هو نفسه صاحبها ومحررها · وقد استهل الموضوع بقوله :

« الجمعية الماسونية جمعية خيرية تقوم على مبدأ مساعدة الضعفاء والمساكين ، والدفاع عن الحرية ، والانتصاف للمظلوم ·

ولم نكن نعرف أنها جمعية سياسية تتداخل فى أمور الشعوب ، وتتصرف فى شؤونها ، وتدعوها للاستسلام لمغتصبى حقوقها الا اليوم ، عندما قرأنا الرسالة التى نشرتها زميلتنا « الأهرام » الغراء من يافا ، وهى تتضمن الرد على المنشور الذى أرسله المحفل الأكبر الوطنى المصرى الى أهالى فلسطين يدعوهم الى الاستسلام للصهيونية وتركها تعمل ما تشاء فى بلادهم ، ويطلب أن لا يتعرضوا لها فى أغراضها القومية »(١١٦) ·

ثم أبدى المحرر دهشته من تدخل المحفل على هذا النحو ، وكيف « كان يأبى أن يبدى رأيه فى المسألة المصرية ، مدعيا أن الجمعية الماسونية جمعية خيرية لا دخل لها فى السياسة · وكانت دهشتنا أكبر لأن تلك الدعوة التى أرسلها المحفل الأكبر الى اخواننا أهالى فلسطين كانت مرسلة باسم الأمة المصرية التى تطالب بحريتها » وأبدى لومه الشديد لما حدث من المحفل ، ثم تلاه بنص المنشور كاملا · وعقب عليه بما رد به محفل يافا من الاحتجاج والاستنكار · واختتم التعليق بعبارة : « فهل لا يرى المحفل الأكبر الوطنى المصرى فى هذا الكلام مايخجل ؟ كفى »(١١٧) ·

ولم يكن محرر « النظام » يعلم — فى الغالب — قصة الضغط الصهيونى من أجل الحصول على هذا النداء · فهذه القصة كشفتها أوراق وايزمان ورسائله التى جمعت ونشرت سنة ١٩٧٧ · ولكن يتبين من تقديمه للموضوع أنه كان على علم بجانبها المتعلق بممثل المنظمة الصهيونية فى القاهرة ، وجهوده فى هذا السبيل :

لم يكن فى النداء دعوة صريحة لقبول الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ، ولا اعتراف بحق اليهود فيه ، وانما كان فيه الحاح على فكرة « الوطن المشترك » ، وهى ذاتها الفكرة التى روجتها الصهيونية فى مصر وقتها ، حتى تجد عن طريقها منفذا الى البقاء

والنشاط داخل القاهرة والاسكندرية · ومع ذلك كان النداء جريئا ، لا فى كلماته وحدها ولكن فى توقيته أيضا · فقد استقر الانجليز على وعدهم الذى أعلنه وزير خارجيتهم آرثر بالفور سنة ١٩١٧ · وبدأت الصحف الوطنية فى مصر فى اثارة القضية · ولم ينتظر كبير الماسونيين حتى ينجلى الأمر ، فظهر بمظهر الملكى أكثر من الملك · واذا كانت طبيعة مواقف ادريس راغب السابقة من الانجليز كفيلة باصدار نداء كهذا ، فقد كان من الطبيعى أن يثير النداء أزمة خطيرة داخل صفوف الماسونيين ، ومعركة فى الصحف المصرية والفلسطينية على السواء ·

وما هى الا أيام حتى ظهرت ردود الفعل من جانب الماسونيين أنفسهم · فقد أعلن محفل ممفيس التابع للمحفل الأكبر الايطالى انه يدعو جميع الماسونيين باسم الماسونية العامة الى جلسة يوم ٢٩ ابريل ١٩٢٢ لمناقشة النداء السابق وعلاقته بالواجب الماسونى ويرحب « بآراء الباحثين فى الموضوع بحرية تامة ، بلا التفات الى تابعية المتكلم لأى شرق من الشروق ، مع مراعاة المصلحة الماسونية العامة » وجاء ذلك فى صورة دعوة وزعها المحفل بتوقيع أستاذه « ميخائيل بشارة داود »(١١٨) ·

قبل يوم واحد من انعقاد هذه الجلسة كان ادريس راغب والموقعون معه على النداء السابق قد تراجعوا عن موقفهم ، فأصدروا بيانا الى أهل فلسطين استهلوه بالاشارة الى ما أحدثه نداء المحفل الأكبر الوطنى المصرى من « سوء تفاهم يوجب الأسف » وأنكروا أنهم أرادوا بندائهم « مصادمة عواطف الفلسطينيين » ، وانما أرادوا عدم حدوث شغب أثناء مولد النبى موسى الكليم · أما وقد مر المولد بسلام فيبقى للفلسطينيين الحرية التامة فى قبول ادماج الصهيونيين الوافدين من الخارج أو رفضهم · (راجع نص البيان فى الملاحق)(١١٩) ·

ومع أن هذا البيان الاعتذارى لم ينشر فى مصر الا فى الخامس من شهر مايو ، أى بعد نحو ثلاثة أسابيع على نشر النداء الأول ، فقد كان حذرا فى تناوله لموضوع الصهيونية ومحايدا فى موقفه منها · اذ يقول : « أما الصهيونيون الذين يفدون من الخارج ويستوطنون فلسطين فللفلسطينيين أنفسهم الحرية التامة فى أن يحكموا اذا كانوا يقبلون ادماجهم فى العنصر الفلسطينى من عدمه » ولكن يبدو أن قصة الضغط الصهيونى على المحفل كانت قد تسربت الى الكثيرين · اذ يقول البيان فى ختامه ان المحفل يبرأ أن يكون ألعوبة فى أيدى غرض أو شخص ، « لأنه لم يقدم على نشر النداء الا حبا فى أن يرى السلام سائدا بين جميع العناصر التى تتألف منها الأمة الفلسطينية الكريمة » ·

لقد جاء « النداء » مطولا ، متحمسا ، متعاطفا مع اليهود والصهاينة على السواء برغم عزفه على نغمة الوطن المشترك · ولكن « البيان » جاء اعتذاريا حذرا بما لايتناسب مع الموضوع أو الغرض ومع ذلك جاء الاثنان تعبيرا عن التورط الذى واجهته الماسونية فى تلك المرحلة · ولولا دعم الانجليز لها ، وانشغال الحركة الوطنية عنها بقضية الاستقلال ، لواجهت هجوما من الخارج ، أى من خارج صفوفها · ومع ذلك أيضا ، جاء هذا الهجوم من الداخل ، أى من داخل صفوفها ، حين اشتد الصراع بين أهلها ، على أثر أزمة التورط الخطيرة · ونجم عن هذا الصراع انقسام فى صفوفها ·

(ج) الانقسام :

من الواضح — مما نشرته الصحف فى تلك الفترة — أن هذا التورط التطوعى المأجور من جانب المحفل الأكبر ورئاسته أحدث لغطا كبيرا داخل المحافل وصفوف أعضائها · ومن سوء حظ رئاسة

المحفل الأكبر أن تورطها جاء فى وقت اشتد فيه ســاعد الغليان الوطنى ضد الانجليز فى أعقاب نفى سعد زغلول ورفاقه ، واستعد فيه ادريس راغب للدخول فى انتخابات المحفل السنوية التى اعتاد الفوز فيها منذ تنصيبه أستاذا أعظم سنة ١٨٩١ • ويبدو أن عناصر ماســونية كثيرة بدأت فى التحرك فى الخفاء ، وأن عملية تمرد واسعة جرت خلال الأشهر القليلة التالية • وداخل هذا الاطار بدا اسم الأمير محمد على ، ولى العهد ، فى اللمعان كبديل لراغب •

وفى ٢٨ سبتمبر ١٩٢٢ عقد المحفل الأكبر فى مقره بشارع نوبار بالقاهرة جلسة لاجراء الانتخابات ، ولكن الجلسة امتلأت بالأجانب ، أى غير المنتمين للماسونية ، وحدث هرج ومرج ، خرج على أثره ادريس راغب غاضبا ومؤجلا للانتخابات • ولكن المتمردين استمروا فى التداول بعد انصرافه ، ثم أجروا انتخابات فاز فيها الأمير محمد على بمنصب الأستاذ الأعظم •

لم يقف ادريس راغب مكتوف اليدين ازاء ما حدث • فقد أسرع فى الثالث من اكتوبر بعقد جلسة أخرى فى مقر المحفل ، وأعلن فيها عدم اعترافه بمشروعية الانتخابات التى جرت فى غيابه، وتحدث عما حدث فى الجلسة السابقة من فوضى مدبرة شارك فيها بعض الأجانب مما اضطره الى تأجيل عملية الانتخاب • ثم قام باجراء الانتخاب ، فكانت نتيجته فوزه بمنصب الأستاذ الأعظم وفوز بعض أنصاره من اليهود بمناصب رئيسية ، مثل سلمون جولدشتين الذى اختير « أمين خزينة أعظم » ، أى أمين صندوق ، وألبرت بزيات « مرشد أول أعظم » كما أجرى جرد لصــندوق الخيرات بالمحفل ظهر منه أن الصندوق لا يحتوى الا على جنيه واحد وثمانمئة وستين مليما(١٢٥) • وطالب راغب بوقف كثيرين من الاخــوان ومحاكمتهم على ما اقترفوه فى حق المحفل ورئاسته • وكان هؤلاء هم أبطال حركة التمرد التى نصبت ولى العهد • وأضاف راغب أن

الاجتماع السابق غير مشروع ، وأن محمد على نفسه لا حق له فى الترشيح أو الفوز ، لأنه لم يكن عضوا عاملا بالمحفل ، ولم يسبق انتخابه رئيسا لأى محفل ، ولا فى منصب عال بالمحفل الأكبر ذاته •

ولم يكتف راغب بهذه الاجراءات ، بل أصدر أوامره بوقف بعض أعضاء المحفل الأكبر ، وكذلك بعض المحافل التابعة له •• وأنذر محمد على ببرقية فى ٩ أكتوبر وخطاب فى اليوم التالى • ثم أصدر أمرا بايقافه عن الأعمال الماسونية تمهيدا لمحاكمته • كما أوقف عددا من الأعضاء اليهود المتشيعين للأمير ، وهم : صامويل ليفى ، شنطوب ليفى ، ايلى حتويل ، ماركو كوهين ، موريس دانا ، ايزاك كروب ، شالومه لزرع • وأعلن أن هؤلاء سيقدمون للمحاكمة، ثم أصدر منشورا لعموم المحافل الماسونية حول الموضوع ، وأخطر المحافل الأجنبية بما حدث •

أرجع راغب السبب فى هذا التمرد الى أنه أوقف بعض الاخوان لارتكابهم مخالفات ماسونية ، وأعلن عن تقديمهم للمحاكمة خلال أشهر الصيف ، ولكنهم تآمروا عليه ، وأوعزوا الى الأمير محمد على بالتقدم والترشيح لمنصب الأستاذ الأعظم ، ثم تجمهروا داخـل مقر المحفل جالبين معهم عددا من « الأجانب » ، وأرغموه (راغب) على سحب أوامر ايقافهم • ولكن راغب لم يذكر قصة النداء كسبب للتمرد • ومن الواضح أن قادة التمرد كانوا هم أنفسهم الأعضاء اليهود الذين ذكرنا أسماءهم • ويبدو أن الخلاف بينهم وبينه كان بسبب « البيان » الذى حاول فيه تخفيف وقع ندائه السابق •

ولم يقف الأمر عند هذا الحد • فقد تطورت الأمور بعد ذلك بطريقة درامية • اذ رفع راغب دعوى مستعجلة ضد المتمردين ، وصدر حكم فيها فى ٢٨ اكتوبر يقضى بتعيينه حارسا قضائيا على المحفل لحين الفصل فى النزاع • ولكن محمد على وأنصاره عدوا

الحكم باطلا فى شكله وموضوعه . وقام عدد منهم بالاستيلاء على أوراق المحفل ، ومن بينها نصوص المعاهدات التى عقدها راغب مع الشـروق الأجنبية . وفى الوقت ذاته تحالف الموقعون على نداء المحفل وبيانه السابقين ضد راغب ، وانضموا الى محمد على .. وبدأت سلسلة من التحرش بين الفريقين . وأصبح المحفل الأكبر ذا هيئتين ، واحدة برئاسة محمد على والأخرى برئاسة ادريس راغب . وتجمع أنصار الأول فأصدروا مجلة « الميثاق » فى ١٥ مايو ١٩٢٤ بعد أن توقفت « المجلة الماسونية » التى أصدرها راغب .

لقد حدث الانقسام على أى حال . وبدأ أنصار محمد على يتحدثون عن خصومهم مستخدمين تعبير « فريق الخوارج » كما سماهم عبد المجيد يونس كاتب السر الأعظم (الأمين العام) للمحفل الذى شغل منصبه فى العهدين(١٢١) . وبدأ أنصار ادريس فى الكيد لخصومهم . ومن ذلك أنهم أبلغوا السلطات أن المحفل الذى يرأسه محمد على يعقد اجتماعات سياسية ، وأنه أقام حفلا فى ١٠ ديسمبر ١٩٢٣ ألقيت فيه كلمـات وخطب معادية للملك . وحققت النيابة العامة فى البلاغ ، واكتشفت ـ كما يقول يونس ـ أن المحفل الأكبر الوطنى المصرى « بعيد عن الاشـتغال بالأمور السياسية ، وأن القصائد والخطب التى ألقيت فى تلك الحفلة تضمنت الدعاء وشعائر الاخلاص والولاء للمقام الأعلى ولولى العهد الكريم كما ذكر ذلك بجريدة « المقطم » مفصلا »(١٢٢) . وعلى مدى عام بعد ذلك ظل التراشق والكيد بين الفريقين قائمين . وحاول أنصار محمد على وضع حد لهذا ، فأصدروا المنشورات والبيانات طالبين من الكتاب من أبناء العشـيرة عدم الخـوض فى الخـلافات القـائمة بين الفريقين(١٢٣) . ومع ذلك انتهت الأزمة باستقرار رئاسـة المحفل للأمير محمد على ، وخروج ادريس راغب ملوما محسورا .

يقول حنا أبو راشد ـ أحد الشـاميين الذين عاصـروا تلك المرحلة ونشطوا خلالها ـ مصورا ما حدث :

« فى عام ١٩٢٢ أسر الوشاة فى أذن الملك فؤاد أن البرنس محمد على ولى العهد سيتولى الأسـتاذية العظمى للمحفل الأكبر الوطنى المصرى ، ويسنده الأخ عبد المجيد يونس السكرتير الأعظم، حتى اذا تمكن استولى على عرش مصر بحراب الانجليز ، فطلب الملك من ادريس راغب أن يرشح نفسه ، يناصره محمد رفعت بك . ولم يحن تاريخ الانتخاب حتى حشد الفريقان مئات من الموظفين والأعيان فى صفوف الناخبين ، وهم لا يفقهون من الماسونية الا اسمها . وهذا الجهل دفعهم الى حرم الهيكل وخزائن السكرتارية ، ونثروا أوراقها بعد احراقها .. وبين صفوف الثائرين صعد محمد على على عرش الأستاذية » .

ويستطرد أبو راشد قائلا :

« وبعد انشقاق المحفل الأكبر المصرى على نفسه بصـورة مستهجنة خرج جماعة من زعماء الماسونية ، ومنهم الاخوان حسن نشأت باشا والسيد على باشا ومحمد رفاعة بك ومحمد رفعت بك ، وأحيوا « الشرق الأعظم المصرى » برئاسة الأستاذ الأعظم ادريس بك راغب ، واتخذوا له مكانا فى عمارة مانوزاردى ، وضموا اليه جملة محافل ، ثم نودى بالأخ محمد رفاعة بك أستاذا أعظم ومحمد رفعت السكرتير الأعظم . وذلك بعد وفاة ادريس بك راغب الذى ضحى بماله وفكره فى سبيل المحفل والشرق الأكبر » .

ويستطرد مرة أخرى :

« ولم ينحصر هذا الانشقاق بداخلية المحفل الأكبر . بل تعداه الى أنحاء الشرق الأوسط ، حيث أن جميع المحافل كانت تشتغل

تحت رعاية المحفل الأكبر الوطنى المصرى · فمنها من تبع الشرق الأكبر الذى يرأسه ادريس راغب ومنها من تبع المحفل الأكبر الذى يرأسه البرنس محمد على »(١٢٤) ·

ولما تفاقم الانشقاق تألفت لجنة عام ١٩٣٤ ـ كما يقول أبو راشد ـ بهدف اصلاح المحافل ورأب الصدع فيها · وتكونت اللجنة من خمسة ماسونيين هم : أبو راشد (رئيس محفل أمير الصعيد) ومحمد فاضل (باشا) وفريد قسيس (رئيس محفل عمانوئيل) ومصطفى حلمى عزب ، وعبد السلام فهمى (بك) · وقد نجحت هذه اللجنة فى مهمتها كما يقول صاحب الرواية · ولما شغر منصب الأستاذية العظمى بوفاة محمد رفاعة عرض المنصب على أحمد ماهر (باشا) فقبله وانتخب أستاذا أعظم(١٢٥) · وظل يشغل هذا المنصب حتى مصرعه عام ١٩٤٥ · وفى عام ١٩٥٠ تولى فؤاد سراج الدين (باشا) الأستاذية العظمى حتى قيام الثورة ·

غير أن هذه المرحلة كلها انتهت مع قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ · وكانت الماسونية ـ كما رأينا ـ قد فقدت الكثير من احترامها ، حتى عند بعض أنصارها · وكان للتطورات السلبية أثر فى فقدان هذا الاحترام · ولم ينجح زعيمها محمد على وخلفاؤه فى أن يقوها شر التورط فى السياسة بعد أزمتها الخطيرة عام ١٩٢٢ · فقد ظلت تتدخل فى قضية فلسطين ، ولاسيما فى السنوات ١٩٢٩ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٩ التى شهدت ثورات الجهاد الفلسطينى · وكان أبرز مظاهر التدخل اذاعة المنشورات بغرض التوفيق بين العرب واليهود ، وارسال الوفود الى فلسطين للسعى من أجل هذا التوفيق · وبسبب هذا كله وقعت السلطات الماسونية فى مصر فى صراع دائم مع اللجنة الفلسطينية العربية ورئيسها محمد على الطاهر · ولم يتوان الرجل عن فضح الأهداف الماسونية ووسائلها عن طريق الكتابة الى الصحف ·

الفصل الثالث

مرحلة الانقراض

كانت المرحلة الأخيرة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٤) من مراحل الماسونية فى مصر أقصر وأخرس من المرحلتين السابقتين • ولكنها تميزت ببعض التغيرات الجوهرية التى أثرت فى مسار الماسونية وحركتها • وأهم هذه التغيرات ظهور اسرائيل ، وهجرة أعداد كبيرة من اليهود اليها أو الى غيرها ، وقيام الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وتغييرها الشامل لوجه الحياة فى البلاد ، وجلاء الانجليز فى يونيو ١٩٥٤ • وبهذه التغيرات الثلاثة فقدت الماسونية مساحة كبيرة من الأرض التى تقف عليها • ومن خلالها انطلق الكتاب فى التأكيد على الربط بين الماسونية والصهيونية الذى ظهرت بوادره فى المرحلة السابقة • ومرت الماسونية بثلاثة تطورات أساسية :

أ ـ ازدياد الدعاية المضادة •

ب ـ الانكماش التدريجي للمحافل •

ج ـ اهمال الدولة •

وفيما يلى نناقش كل تطور من هذه التطورات الثلاثة على حدة :

(أ) ازدياد الدعاية المضادة :

لم تشهد المرحلتان السابقتان ـ مرحلة التأسيس ومرحلة

الاستقرار ـ دعاية مضادة مثلما شهدت فى هذه المرحلة . وقد انصبت هذه الدعاية المضادة على صلة الماسونية بالصهيونية . ومهما دافع أصحاب الماسونية فى أوربا عن حيادها فى هذا المجال فقد قدم أصحابها فى مصر ـ فى سنة ١٩٢٢ ـ وقودا مهما لاشتعال هذه الصلة ، وهى صلة أقل ما يقال عنها ـ فى ضوء ما مر بنا ـ أنها جاءت نتيجة تشكيل اليهود مركز قوة فى المحافل ، وتسلل الصهاينة منهم داخل صفوف الماسونية لاستغلالها على النحو الذى حدث . ومهما كانت براءة ادريس راغب ، وحسن نيته فى تأثره بالضغط الصهيونى ، فليس من الممكن اعفاؤه من مسؤولية مساعدة الصهيونية والانقياد لرغباتها . ولو كان الأمر أمر تهدئة الخواطر فى فلسطين وقتها ، حتى يمر مولد النبى موسى بسلام ، لما احتاج هذا الأمر الى تلك الديباجة الطويلة ، أو الزج بفكرة الوطن المشترك التى كان الصهاينة فى مصر يروجونها فى صحفهم ، فى سبيل كسب عطف المصريين على قضية اضطهاد اليهود .

لقد ظهر فى المرحلة السابقة نحو ٢٦ كتابا مؤلفا ومترجما عن الماسونية لم يكن بينها سوى كتاب واحد ضدها ، وهو كتاب « تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة » لمحمد عبد الله عنان . ومع ذلك فهذا الكتاب ذاته لم يقتصر على الماسونية ، وانما تناولها ضمن الجمعيات السرية الأخرى ، ولم يظهر فى المرحلة الأخيرة عنها سوى كتابين دعما العداء لها ، وهما : الصهيونية والماسونية لعبد الرحمن سامى عصمت ، الجمعية الماسونية : حقائقها وخفاياها لأحمد غلوش . ولكن الكتابين لم يكتبا بطريقة علمية مقنعة ، وانما غلب عليهما الانشاء والتعميم والتحيز .

واذا كانت الصحف الماسونية المتخصصة توقفت قبل بداية هذه المرحلة فقد بدأت الصحف ذات الاهتمام العام فى نشر الدعاية

المضادة للماسونية خلال هذه المرحلة الأخيرة . كما بدأت الصحف التى تمادت فى تأييدها للماسونية فى التراجع عن موقفها مثل « المقتطف » ، أو التخفيف من التمادى مثل « المقطم » .

لقد كانت « المقتطف » ـ كما رأينا ـ أقرب الى المنبر النظرى للدعوة الماسونية . ولكنها ظهرت فجأة بموقف مضاد تماما فى مارس ١٩٥٠ . ففى عدد ذلك الشهر نشرت مقالا دون توقيع بعنوان « فضائل الماسونية : لا حرية ولا اخاء ولا مساواة » فى هذا المقال تتلخص الدعاية المضادة خلال المرحلة على نحو أقل غوغائية مما نشر بعد ذلك . ويبدو من أسلوبه أن كاتبه نقولا الحداد الذى تولى تحرير المجلة خلال سنتى ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠ . وكان قد نشر بمجلة « الرسالة » عقب اشتعال الحرب فى فلسطين سنة ١٩٤٨ سلسلة طويلة من المقالات ركز فيها على فضح تاريخ اليهود والصهيونية .

واستهل الحداد مقاله بقوله :

« الماسونية كما فهمناها هى جمعية يقال أنها سرية . ونحن نعلم ألا سر عظيم الشأن فيها أو مفيدا للبشرية والحضارة سوى علامات الدرجات ، ومؤامرات سرية مختلفة الأغراض ـ وفيما سوى ذلك فهى فى دعوى أصحابها جمعية انسانية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . هاتان الوصيتان من مزايا القرآن والانجيل ، ومن مبادىء النصارى والمسلمين . فاذا لم يكن للماسونية تعليم آخر أفضل من هذين التعليمين فلا لزوم لها . واذا كان الانجيل والقرآن لم يرقيا الروح الانسانية فى البشر فتعاليم الماسونية تستطيع أن ترقى البشر فى الفضيلة والانسانية » .

ومضى بعد ذلك فتحدث عن المسيحية والاسلام اللذين لا لزوم لقول بعدهما . وقال ان العالم لا تنقصه ديانة ولا جمعية تعليمية ،

أعظم للمحفل الأكبر الوطني المصري . وأصدر المؤتمر الماسوني المثالي المنعقد في بيروت في يونيو ١٩٥٠ قرارا بتأييد المحفل المصري « برئاسة صاحب الشوكة معالي فؤاد سراج الدين باشا »(١٢٧) .

(ج) اهمـــال الدولة :

كانت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ بداية النهاية للماسونية في مصر ، وبداية مرحلة جديدة شهدت العديد من التغيرات العنيفة ، وعلى رأسها انقلاب النظام في مصر . ولكن النظام الجديد الذي حل في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لم يمس الماسونية على الفور ، أو بالتدريج ، مثلما مس جميع مؤسسات النظام القديم . فقد أهملتها الدولة ، وتساقطت أوراقها ، وانفض سامرها . ومع ذلك لم يحدث هذا كله دفعة واحدة . ففي يونيو ١٩٥٣ ، أي بعد نحو عام من بداية النظام الجديد نشرت مجلة « الفن » تحقيقا مصورا بعنوان « الفن تتسرب الى القاعات السرية بالمحفل الماسوني : تثبيت يوسف وهبي رئيسا لمحفل الفنان المصري ، وتكريس محسن سرحان » وجاء في هذا التحقيق المدعوم بالصور :

« كان ذلك في مســـاء الثلاثاء الماضي ، وقد حفلت الدار الماسونية بجمهور كبير من الفنانين الماسون ، نذكر منهم يوسـف وهبي ومحسن سرحان وفريد شوقي وأحمد كامل مرسي ومحمود المليجي وفؤاد شفيق وعبد السلام النابلسي وحلمي رفله وحسين رياض ومحمود فريد وعيسى أحمد وعلي رشدي وأحمد سعيد وغيرهم كثيرون .. ومن فرجة فتحت قليلا شاهدنا محسن معصوب العينين ، وقد وقف بين يوسف وهبي وعيسى أحمد . وكان كل منهما يرتدي الزي الرسمي للماسون ، شاهرا بيده سيفا من الخشب ، حلق به على رأس محسن سرحان .. وأغلقت الفرجة ، وانقطع كل اتصال بيننا وبين ما يجري في الداخل »(١٢٨) .

ومن الواضح في هذا الكلام أن الفنانين لم يجدوا مايمنعهم عن هذه المظاهرة الماسونية ، وأن يوسف وهبي ورفاقه شكلوا محفلا طائفيا ، بمعنى الاقتصـــار على طائفة الممثلين وفناني المســرح والسينما . ولا ندري طبيعة عمل هذا المحفل ، ولكن يبدو أنه كان نوعا من المظهر الاستعراضي دون جدية .

عندما وقع العدوان الثلاثي على مصر في اكتوبر ١٩٥٦ تأثر موقف اليهود داخل البلاد بالطبع ، وبدأت هجرتهم مرة أخرى في أعقاب العدوان . وأصدر المحفل الأكبر الوطني المصري قرارا بوقف « نشاط الاخوان اليهود في الناحية الماسونية » وبرر ذلك بأنه ابعاد « للشبهات والظنون عن العشيرة وخدمة لليهود الاخوان أنفسهم » على حد تعبير صيغة القرار . وعندما هدأ الموقف أصدرت بعض المحافل بيانا آخر طلبت فيه من اليهود « العودة الى نشاطهم » . ولكن يبدو أن هذا البيان لاقى معارضة شديدة داخل المحافل الماسونية ، وعده البعض غير قانوني ، واستمسك البعض الآخر بالبيان الأول الذي قضى بتجميد عضوية اليهود . ويبدو أيضا أن ذلك جاء بايعاز من السلطات أو كنوع من حسن النية من جانب الأعضاء الماسونيين المصريين من غير اليهود . وقد حذر قرار المحفل الأكبر – كما فسره هؤلاء – الاخوان الماســـونيين من المخـــالفة حتى لا تقع التفرقة والانقسام بين صفوف العشيرة(١٢٩) .

هذه التطورات الثلاثة كانت ســلبية في الحقيقة من منظور الماسونية . وقد ساهمت – في الوقت ذاته – في بلورة تطور آخر سلبي ، أو هو التطور الأخير اذا شئنا الدقة . ففي ١٨ أبريل ١٩٦٤ أصدرت وزيرة الشؤون الاجتماعية قرارا بحل الجمعيات والمحافل الماسونية . وهذا نص القرار كما نشرته صحيفة « الأهرام » في اليوم التالي :

« أصدرت الدكتور حكمت أبو زيد ، وزيرة الشئون الاجتماعية، أمس قرارا بحل الجمعيات الماسونية ، وهى : المحفل الماسونى اليونانى ، ومحفل خوفو فى القاهرة ، والمحفل الأكبر الوطنى لوادى النيل بالاسكندرية وفروعه بالاسماعيلية وهى محافل اسماعيل وزيتون والمساواة ، وجمعية الشرق الأكبر المصرى وفروعها فى بورسعيد وفروعها بمحافظات بورسعيد والقاهرة والاسماعيلية وهى محافل التوفيق وسولون وفينكس ولايركيبون والتحرير وأوزوريس وفتراتيوس ، ومقام سولون ولايرنيكون ، والقومية وجاريبالدى وجلوث ، ومقام ايزيس ، والوحدة ، ومقام جلوت ، واسماعيل رقم ٢ ، وهرميس ، وايزيس ، والجمعية الخيرية الماسونية بالمنصورة ٠

« وينص القرار على أن تقوم مديريات الشؤون الاجتماعية بتعيين من يقوم بتصفية الجمعيات التى تقع فى دائرة اختصاصها ، وتوجيه أموال الجمعيات الماسونية جميعها بعد التصفية الى اللجان الفرعية لمعونة الشتاء فى المحافظات التى تقع فى دائرة اختصاصها هذه الجمعيات »(١٣٠) ٠

يتضح من هذا القرار أن عدد المحافل الكائنة فى ذلك الوقت بلغ ٢٦ محفلا ، وأن معظمها محافل يونانية ٠ كما يتضح أن المحفل الأكبر الوطنى نقل مقره من القاهرة الى الاسكندرية ٠ ولكن ربما تم ذلك النقل قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٠ فلا توجد معلومات مؤكدة فى هذا الخصوص ٠

وقد تلا نشر هذا القرار اقبال الصحف على نشر تحقيقات عن الماسونية وأسرارها وتجارب أعضائها السابقين ٠ وكان مما نشرته « الأهرام » أن سبب وقف نشاط الماسونيين هو أن

« اجتماعاتهم كانت سرا مغلقا حتى على الدولة » وأضافت الصحيفة أن مندوبى الشؤون الاجتماعية عثروا فى المحفل الأكبر على سيوف وخناجر وكتب قديمة ٠ ولم تبين الصحيفة طبيعة هذه السيوف والخناجر ٠ فلم تكن من قبيل الأسلحة أو تخزينها والا لحوكم أصحابها ، وانما كانت – على الأرجح – سيوفا وخناجر قديمة مما يستخدم كرموز للماسونية فى المحافل(١٣١) ونشرت مجلة « آخر ساعة » تحقيقا بعنوان « سر خطير وراء حل الجمعية الماسونية » جاء فيه :

« عندما طلبت الجمعيات الماسونية بالجمهورية العربية المتحدة تسجيل تنظيماتها بوزارة الشؤون الاجتماعية طلب منهم المسؤلون تطبيق قانون الجمعيات عليها ٠ وهذا القانون يحتم خضوع كل الجمعيات داخل الجمهورية لاشراف وزارة الشؤون الاجتماعية ، ويكون للمسؤولين فى الوزارة حق التفتيش على أعمال الجمعية للتأكد من عدم مخالفتها للقانون ٠ ورفضت الجمعيات الماسونية ذلك لأنه يتعارض مع السرية التامة التى تعيش فيها ، فقررت الحكومة الغاء الجمعيات الماسونية فى مصر ٠ ولم يكن هذا هو السبب الوحيد لالغاء الجمعيات الماسونية ٠٠ ان أمن الدولة وسلامتها اقتضيا الغاء هذه الجمعيات أيضا ٠ فقد قررت الصهيونية استغلال المحافل الماسونية فى جميع أنحاء العالم لمزاولة نشاطها بضمان سرية ما يجرى داخل هذه المحافل »(١٣٢) ٠

ومعنى هذا أن المحافل الماسونية هى التى طلبت التسجيل فى وزارة الشؤون الاجتماعية المختصة بنشاط الجمعيات والأندية بجميع أنواعها ، فلما واجهتها الوزارة بضرورة تطبيق القانون رفضت بحجة السرية ٠ ولكن من الواضح أن قرار الغاء المحافل كان ذا سبب سياسى ، وهو ما فسره محرر « آخرساعة » باستغلال

الصهيونية للمحافل الماسونية . ومع ذلك لم يكن هذا الاستغلال ابن ساعته ، ولا ندرى ان كان قد صدر به قرار صهيونى أم لا ، ولكننا ندرى من تجربة ١٩٢٢ ، التى أشـرنا اليها من قبل ، أن استغلال الصهيونية للماسونية مسألة قديمة لم تكن معروفة لصاحبة القرار السابق .

غير أن هذا القرار ، وما تلاه من اعلام متحمس متزايد ضد الماسونية ، كان له صدى واسع فى البلاد العربية التى كانت محافلها تحت رعاية المحفل الأكبر المصرى ، مثل سوريا ولبنان وفلسطين والعراق . فقد قررت سوريا اغلاق المحافل الماسونية فى أغسطس ١٩٦٥ . وفى ذلك الشهر قرر لبنان الغاء عقد المؤتمر الماسـونى العالمى ، الذى كان مقررا عقده فى بيروت ، خوفا من تسلل العناصر الصهيونية . وأصدر الماسـونيون فى الأردن بيانا اعترفوا فيه « باستغلال الصهيونية للماسونية العالمية استغلالا مجرما فى أبشع صورة عرفتها الانسانية » ، وقرروا انشاء منظمة ماسونية باسم « الحركة الماسونية العربية » للبعد عن الاستغلال الصهيونى . كما قرروا الابقاء على الصلة مع المحافل العالمية الصديقة ، من أجل انصاف عرب فلسطين ونصرة قضية اللاجئين . ومع ذلك أصدر مفتى الأردن العام فتوى بتحريم الدخول فى الماسونية ، بدعوى انها بدعة يهودية ، تقدم الأخوة الماسونية على الأخوة الدينية والقومية وأن الله ينهى عن موالاة الأعداء(١٣٣) . وكان العراق قد سبق الجميع فأغلق المحافل الماسونية (عشرة محافل) على أثر ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨(١٣٤) .

خاتمـــة

يدعو ما حدث فى مصر الى التساؤل :

لماذا تأخر قرار الحكومة المصرية باغلاق المحافل الماسونية الى سنة ١٩٦٤ ؟

هل كان التأخير من قبيل النسـيان للمحافل التى ران عليها الصمت ولم يعد لها صوت منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ؟

هل كانت الحكومة المصرية تريد احراج المحافل أو تركها كى تموت من تلقاء ذاتها ثم تصدر قرارا باغلاقها وتحريمها ؟

ماذا كان مصير سجلات هذه المحافل ؟ هل أعدمها أصحابها أم استولت عليها الحكومة ؟ واذا كان الأمر الأخير ه والصحيح فأين هى الآن ؟

هذه الأسئلة لم يجب عنها أحد للأسف بعد وربما تكشف الأيام جوابها(١٣٥) .

ولكن هناك أسئلة أخرى نسـتطيع أن نجيب عنها من واقع ما مر بنا .

هل قدمت الماسونية لمصر عملا خيريا مفيدا ؟ هل تركت أثرا يدل على ما ينادى به أصحابها من مبادىء البر والاحسان ؟ هل شاركت الحركة الوطنية فى مقاومة الاحتلال ؟

كل هذه الأسئلة جوابها واحد هو النفى ٠

لقد نقل الكاتب الانجليزى ستيفن نايت سطرا بالغ الأهمية عن « الكتاب الدولى لحرفة الماسونية » ويقول هذا السطر :

« أن الماسونية تعلم الانسان بوضوح أن أول واجب له يكون نحو نفسه »(١٣٦) واذا فسرنا هذه العبارة تفسيرا عمليا يصبح معناها : أنا وبعدى الآخرون ، أى أن مصلحة العضو تأتى قبل مصلحة الأعضاء ٠ وبذلك تصبح الماسونية تنظيما أساسه المصلحة الشخصية ٠ ولهذا فان الماسونيين الانجليز الكثيرين الذين اعترفوا لنايت بأنهم استفادوا فى التجارة من « اخوانهم » ٠ أو سهلت مصالحهم مع القوامين على المجتمع بسبب ماسونيتهم ، لم يكذبوا أو يبالغوا ٠ فذلك هو الأساس عند عامة الماسونيين : حك ظهرى أحك ظهرك ، كما يقول المثل الانجليزى ٠ ولكن هذه المصالح الفردية فى أساسها لابد أن تتعقد حين تسيطر على المحافل مراكز قوة معينة٠ وعندئذ يوجه كل مركز منها المصلحة بالطريقة التى يريدها ٠ وهذا ما حدث فى الغالب فى صفوف ماسونية بلد مثل مصر ، حيث كانت المحافل مراكز لادارة المصالح الفردية أو الجماعية ، حسب ثقل مراكز القوة بها ، وكانت أيضا مراكز للمعلومات والتنسيق بين المصالح ، مهما كانت شعاراتها أو مبادئها الخيرية المعلنة على الناس ٠

لقد بدأت الماسونية فى مصر ـ كما رأينا ـ بهدف رعاية مصالح الأقليات الأجنبية التى أسستها ٠ ولما ازدادت فيها نسبة الأهالى ، أو العنصر الوطنى ، بدأ التطلع ـ تحت مظلة السرية ـ الى تحقيق أهداف ذات طابع وطنى كما حدث مع الأمير حليم الذى حاول استغلال الماسونية فى الوصول الى الحكم ، وكما حدث أيضا مع الأفغانى الذى حاول استغلالها فى التخلص من اسماعيل وتثبيت

ولاية ابنه توفيق ٠ وكان ذلك فى الحالتين أشبه بحركة « اللوبى » ، أو قوى الضغط ومراكز القوة فى السياسة ٠ ثم انتهت تلك المرحلة التى حاولت فيها الماسونية أن تؤسس نفسها فى مصر بالاحتلال الانجليزى ٠

وبدأت مرحلة الاحتلال ـ كما رأينا أيضا ـ دون أن تتأسس الماسونية ٠ فكان من الطبيعى أن تنضوى تحت لواء الانجليز ، لسببين : أولهما أن معظم أعضاء المحافل أجانب ، والآخر أن الانجليز هم أول من أسس الماسونية فى العالم ٠ وهكذا تميزت تلك المرحلة باستقرار الماسونية وتوسعها وازدهارها من جهة ، وابتعاد الحركة الوطنية عنها تماما من جهة أخرى ، على عكس ماحدث فى المرحلة السابقة حين حاولت الحركة الوطنية الاستفادة منها(١٣٧) ٠ ونتيجة لهذه الظروف نجح اليهود ـ بازدهارهم وتحالفهم مع الانجليز ـ فى الاستفادة منها فى تحقيق أحلامهم الصهيونية حتى نهاية المرحلة سنة ١٩٤٨ ٠

وفى مرحلة النهاية الأخيرة صمتت الماسونية وتعرضت للانقراض حتى ألغيت رسميا سنة ١٩٦٤ ٠

فى كل هذه المراحل الثلاث لم تترك الماسونية أثرا طيبا على المستوى العام ، اجتماعيا أو سياسيا ٠ وبذلك لم تعمل بمبادئها ، ولا كفت يديها عن العبث السياسى ٠ ولم يبق منها فى النهاية سوى سوء الذكر وآلاف الصفحات وأبيات الشعر التى دبجها المخدوعون بها أو الذين فى قلوبهم غرض ٠ أما على المستوى الفردى فربما أحسنت على كثيرين وسهلت مصالح الكثيرين أيضا ٠ ولكن هذا لا يبقى فى التاريخ كما يبقى الاحسان العام والمصالح العامة للأمم والجماعات ٠

ملاحق

مصطلحات ماسونية

هذا بيان بأهم المصطلحات الشائعة فيما يكتب عن الماسونية فى الانجليزية والفرنسية :

الماسونية العملية : Operative Masonery

هى الماسونية الأصلية التى ارتبطت بأعمال البناء القديمة ، وتشكل المرحلة القديمة ·

الماسونية الرمزية : Speculative Masonery

هى الماسونية التى اتخذت بعض رموز الماسونية القديمة واشاراتها وأدواتها فى صنعة البناء ، وتشكل المرحلة الحديثة ·

المحفل : Loge, Lodge

وهو الوحدة الماسونية الأولى ، أو الخلية الأولى فى مجتمعها ·· ويتألف من أعضاء مقبولين ، أى تم اختبار حسن نيتهم واستعدادهم وصلاحيتهم · وقد أخذ المصطلح من الاسم القديم الذى كان يطلق على أكشاك البنائين خارج المبانى أو الأعمال الجارى

بناؤها . وكان البناؤن يتجمعون فى هذه الأكشاك للمبيت ، أو تنظيم الواجبات ، أو تلقى الأجور .

المجمع : Chapitre, Chapter

وهو الوحدة أو الخلية التنظيمية الأعلى . ويتألف من مجموعة محافل فى منطقة معينة داخل البلد الواحد .

المحفل الأعظم : Grand loge, Grand Lodge

وهو الوحدة أو الخلية العليا التى تشرف على المجامع والمحافل الفرعية .

الشرق : Orient, East

وهو هيئة تشرف على مجموعة محافل ومجامع فى عدة بلدان . .

درجات الماسونية

يتدرج عضو المحفل الماسونى فى سلم من الدرجات يصل الى ٢٣ درجة على مستوى البلد الواحد ، كما فى انجلترا . ولكن هذه الدرجات الثلاث والثلاثين لا يعرف عنها الكثيرون من أعضاء المحافل شيئا . فالمشهور منها ثلاث هى الأولى . وهذا بيان بالدرجات الثلاث والثلاثين كما تعرف فى الانجليزية :

١ ـ التلميذ أو الصبى .

٢ ـ زميل الصنعة أو الرفيق .

٣ ـ الأستاذ أو الأسطى

٤ ـ الأستاذ السرى .

٥ ـ الأستاذ الكامل .

٦ ـ السكرتير ، أو الأمين ، المقرب .

٧ ـ الوصى والقاضى .

٨ ـ مراقب البناية أو المنبه .

٩ ـ مختار التسعة .

١٠ ـ مختار الخمسة عشر .

١١ ـ المختار الجليل .

١٢ ـ الأستاذ المهندس الأعظم

١٣ ـ القوس الملكية ٠

١٤ ـ فارس الكمال الاسكتلندى ٠

١٥ ـ فارس السيف أو فارس المشرق ٠

١٦ ـ أمير القدس ٠

١٧ ـ فارس المشرق والمغرب ٠

١٨ ـ فارس البطريق والنسر والأمير العاهل للصليب الوردى ٠

١٩ ـ الحبر الأعظم ٠

٢٠ ـ الأستاذ الأعظم المبجل ٠

٢١ ـ البطريرك النوكى ٠

٢٢ ـ أمير لبنان ٠

٢٣ ـ رئيس المعبد ٠

٢٤ ـ أمير المعبد ٠

٢٥ ـ فارس الأفعى النحاسية ٠

٢٦ ـ أمير الرحمة ٠

٢٧ ـ حامى المعبد ٠

٢٨ ـ فارس الشمس ٠

٢٩ ـ فارس القديس أندرو ٠

٣٠ ـ الفارس المنتخب الأعظم قادوش ، فارس النسر الأسود والأبيض ٠

٣١ ـ المفتش الأعظم القائد المحقق ٠

٣٢ ـ الأمير الجليل للسر الملكى ٠

٣٣ ـ المفتش العام الأعظم ٠

ويلاحظ أن بعض هذه الدرجات مأخوذ من صنعة البناء ، ولاسيما الثلاث الأولى ، وأن معظم الدرجات مأخوذ من التوراة والانجيل ٠ ويلاحظ أيضا أن الدرجة الأخيرة (المفتش العام الأعظم) لا يحتلها فى بلد مثل انجلترا سوى ٧٥ شخصا ، وأن الدرجة كلما علت قل عدد شاغليها ٠

هناك أيضا درجات محلية فى كل محفل تمنح بالانتخاب وتشغلها هيئة موظفى المحفل ، وهى :

١ ـ الأستاذ (الأعظم)

٢ ـ نائب الأستاذ (الأعظم)

٣ ـ نائب ثانى الأستاذ (الأعظم)

٤ ـ منبه أول (أعظم)

٥ ـ منبه ثان (أعظم)

٦ ـ كاتب سر أو أمين (أعظم)

٧ ـ حامل علم (أعظم)

٨ ـ مرشد (أعظم)

٩ ـ أمين خزينة (أعظم)

مع ملاحظة أن كلمة « الأعظم » تضاف للعاملين بالمحفل الأعظم أى المحفل المشرف على المحافل الأخرى فى البلد الواحد ٠

المحفل الأكبر الوطنى المصرى
للبنائين الأحرار القدماء المقبولين

نداء الى أهالى فلسطين

باسم الحرية والاخاء والمســاواة التى هى الشعار المقدس للماسونية ذات المبادىء الخالدة .

وباسم السلام العام الذى تدعو اليه جميع المذاهب الفلسفية وتأمر به كل الأديان السماوية .

يتقدم المحفل الأكبر الوطنى المصرى .

الى أئمة الدين الحنيف وحفظة الشرع الكريم الذين يستمع اليهم عرب فلسطين . . .

الى رؤساء جميع الأديان الأخرى ، سواء كانت مسيحية أو موسوية أو غيرها ، على اختلاف النحل والمذاهب .

الى أهل العقول الراجحة والبصيرة النيرة الذين يصدعون بالحق ، وفى الحق لا يخشون لومة لائم .

- الى أرباب الأقلام والصحف الذين يقتدى بهم الخاصة ويهتدى بهم العامة ٠

الى أكابر المسلمين وأعيانهم الذين يغارون على مجد أسلافهم الكرام ، أولئك الأسلاف الذين سبقوا الناس كافة فشرعوا للانسان حرية الفكر وحرية القول وحرية العمل ٠

الى أصحاب المناصب وذوى الحل والعقد المسـؤولين أمام خالقهم وأمام ذمتهم عن حفظ السلام واقامة القسطاس بين جميع المتوطنين فى فلسطين ٠

الى التجار الذين تتنافر مصالحهم مع العنف والعدوان وسفك الدماء وتخريب العمران ٠

الى العمال والصناع الذين يستفيدون ويفيدون من ازدياد أسباب الثروة وتوافر عوامل الرخاء فى فلسطين ٠

الى أصحاب المزارع والضياع وأرباب المسقفات والمبانى الذين سيكون نماء العمار فى بلادهم سببا لتدفق الثروة عليهم ٠

الى المزارعين والأكارين الذين سينالون أكبر المنافع باستخدام الأساليب الحديثة التى لا تلبث أن تتوافد عليهم فتعمهم الرفاهية وتتحسن أحوالهم المادية والأدبية ٠

الى الشباب الناهض الذى سيجنى أكبر الثمرات مما سيقام فى فلسطين من معاهد العلم ، مثل ماجناه أبناء سورية مما أسسه المرسلون الدينيون فى بيروت وغيرها ، مع ما هى مصبوغة به من الصبغة الدينية ٠ فأما المعاهد التى ستقام فى فلسطين فلا تكون الا علمية محضة وطنية بحتة ، فيكون من شأنها أحياء الشرق وتجديد فخار الماضى واعادة مجده القديم وارجاع أهله الى مكانتهم السامية ٠

الى المشاغبين ، أولئك الذين لا تؤدى أعمالهم الى شىء آخر سوى الضرر بمصالح العرب الحقة ، والى أولئك الذين يسوقون من خلف الستار بنى قومهم الساذجين الى العبث بذمة العرب الكرام والى ارتكاب الاثم والعدوان ٠

الى أولئك الذين يتوافدون من كل فج عميق لزيارة قبر الكليم « النبى موسى » عليه السلام ، فى يوم موسمه القادم الذى هو رمز المحبة والسلام ،

الى أولئك الذين يغريهم الدساسون الخادعون على اقتراف المحارم وسفك الدماء وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق !

ثم الى الأمة الفلسطينية كلها كبيرها وصغيرها ، رجالها ونسائها ، بلا تمييز بين الأجناس والأديان ٠

فيقول للجميع بلسان الماسونية المصرية وبلسان الانسانية :

اذكروا ــ نفعكم الله ــ أن الفرنساويين والانجليز فى بلاد كندا يتألف من عنصريهما المختلفين ، جنسا وسلالة ، أمة واحدة يعيش أفرادها جنب الى جنب بسلام وأمان ٠

اذكروا أن الألمان والفرنساويين والطليان تتألف منهم « فى بلاد سويسرا » أمة واحدة متجانسة على اختلافها فى اللغات والأديان ، وأن تكاتفهم واتحادهم واجماع كلمتهم منبع قوتهم ومصدر ثروتهم ، وأن فى تماسكهم وتضامنهم حياتهم الشريفة وحريتهم الغالية ٠

يا أهل فلسطين

تذكروا أن اليهود هم اخوتكم وأبناء عمومتكم اد ركبوا متن الغربة فأفلحوا ونجحوا ٠ ثم هم اليوم يطمحون للرجوع اليكم لفائدة

وعظمة الوطن المشترك العام ، بما أحرزوه من مال وما اكتسبوه من خبرة وعرفان ٠

ان العربى والعبرى صنوان من شـجرة ابراهيم ، أبواهما اسحق واسماعيل ٠ فمتى وضع أحدهما يده فى يد الآخر انتفعا جميعا بما لديهما من الوسائل المختلفة ، وكان فى تعاونهما تمام الخير وكمال البركة باذن الله ٠

اسمعوا وعوا هذا الصوت الذى تناشدكم به مصر ، شقيقتكم الكبرى ٠

انها تدعوكم الى السلام والوئام لمصلحتكم ولمصلحة الشـرق وهى فوق كل مصلحة ٠

اسمعوا هذا الصوت الذى يدعوكم الى الحكمة وسبيل الرشاد، هذا الصوت المنبعث عن أرض تفاخر وتباهى بصلاح الدين ، ذلك الملك الجليل الذى أعجب به العالم طرا بما كان له من تسـامح لايزال كوكبه الوضاء يتلألأ فى جبين الشرق والاسلام ٠ فقد كان بتسامحه مع اليهود والنصارى أشرف الملوك وأجلهم قدرا ٠ وما ذلك الا لأنه تشبع بروح الاسلام الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فاستمد رجحانه على كل معاصريه من تلك القوة التى أرسلت أنوار الحضارة على العالم بأجمعه ، تلك هى قوة العرب ٠

حافظوا على شرف العرب القديم ، وعلى مجدهم الصميم ، ولا تندفعوا وراء الأيدى الخفية فى تيار الظلم والعدوان ٠ واياكم ثم اياكم أن تسفكوا الدم الذى حرم الله ٠

هذا ما رآه المحفل الأكبر الوطنى المصرى ٠ ويقينه أن أهل فلسطين يستمعون لهذا النداء ، وأخصهم العرب ، فانهم هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ٠

لقد أدى المحفل الوطنى المصرى الأمانة ٠ وقام بالواجب عليه نحو التضامن الانسانى ٠ ورجاؤه أن يكون لهذا النداء أحسـن صدى ، فيهب أصحاب الكلمة المسموعة من اخواننا اليهود واخواننا النصارى واخواننا المسلمين المتوطنين فى فلسطين لدعوة أبنائهم وقرابتهم والمؤتمين بهم الى الامتناع عن المحـارم والآثام ، والى اجتناب أسباب الشقاق والانقسام فى تلك الأرض المقدسة ، أرض فلسطين ، حتى يسود بين عناصرها الاتحاد والوئام ، ويخيم على ربوعها السلام ٠

الأستاذ الأعظم	كاتب السر الأعظم
ادريس راغب	**عبد المجيد يونس**
نائب الأستاذ الأعظم	مساعد نائب الأستاذ الأعظم
محمد رفاعة	**طه ابراهيم**

عن القاهرة فى ٢ ابريل سنة ١٩٢٢

بيان الى أهالى فلسطين

لقد أحدث نداء المحفل الأكبر الوطنى المصرى الى الأمة الفلسطينية الكريمة سوء تفاهم يوجب الأسف ٠ فهو لذلك يرى من واجبه ايضاح قصده منعا للالتباس ٠

لم يرد المحفل الأكبر الوطنى المصرى بندائه مصادمة عواطف الفلسطينيين فى أسلوب الدفاع عن حقوقهم أو الاحتفاظ بمصالحهم أو بمطالبتهم بأمانيهم المشروعة أو الاستكانة للغرباء ، وانما أراد عدم حدوث شجار أو شغب أو اراقة دماء فى مدة مولد النبى موسى الكليم الذى يتوافد اليه الكثيرون من أنحاء المعمورة ٠ ولذا بادر بنشر ندائه قبل بزمن قصير ٠ وان المحفل الأكبر ليحمد الله على تحقيق ما كان يقصده ٠ فقد ابتدأ المولد وانتهى بسلام ٠ ويرجو أيضا أن يسود هذا السلام على الدوام ٠

أما الصهيونيون الذين يفدون من الخارج ، ويستوطنون فلسطين فللفلسطينيين أنفسهم الحرية التامة فى أن يحكموا اذا كانوا يقبلون ادماجهم فى العنصر الفلسطينى من عدمه ٠

وبعد هذا البيان يتعشم المحفل الأكبر الوطنى المصرى أن يكون قد زال كل ما علق بنفوس اخواننا الفلسطينيين من سوء التفاهم .

هذا والمحفل الأكبر الوطنى المصرى يبرأ الى الله أن يكون ألعوبة تلعب بها أهواء ذوى الأغراض والمصالح الشخصية ، لأنه لم يقدم على نشر النداء الا حبا فى أن يرى السلام سائداً بين جميع العناصر التى تتألف منها الأمة الفلسطينية الكريمة .

وفى الختام يتمنى للفلسطينيين كل سعادة ورفاهية .

القاهرة فى ٢٨ ابريل سنة ١٩٢٢

الأستاذ الأعظم **ادريس راغب**

كاتب السر الأعظم **عبد المجيد يونس**

نائب الأستاذ الأعظم **محمد رفاعه**

مساعد نائب الأستاذ الأعظم **طه ابراهيم**

ببليوجرافيا عربية عن الماسونية

كتب ـ نشرات ـ صحف

أورد يعقوب لاندو قائمة طويلة بالكتب والنشرات التى صدرت عن الماسونية فى مصر بالعربية والفرنسية والايطالية (Landau, op. cit., PP. 170 — 72. وقد وجدنا أن القائمة العربية غير كاملة فأضفنا اليها ما استطعنا الحصول عليه أو على عناوينه، ثم أعدنا ترتيبها أبجديا ، وأضفنا اليها أيضا الصحف العربية الماسونية فى مصر مرتبة تاريخيا .

اولا : كتب وكتيبات :

١ ـ **أحمد زكى أبو شادى :**

روح الماسونية وآمال الانسانية ، القاهرة ، ١٩٢٧ .

٢ ـ ....

البناية الحرة أو خطرات عن الماسونية ، القاهرة ١٩٢٧ .

٣ – ....

صوت الماسونية ، القاهرة ، مطبعة عطية ، ١٩٢٩ .

٤ – **أحمد غلوش :**

الجمعية الماسونية – حقائقها وخفاياها ، القاهرة ، الدار القومية ، د . ت (الستينات)

٥ – **ادريس راغب :**

القانون الماسونى للمحفل الأكبر ، القاهرة ، ١٨٩٣ .

٦ – ....

الدرجة الأولى – شرح لوحة الرسم ومقالات خاصة بهذه الدرجة وضعتها لجنة من الأساتذة بملاحظة الأخ الكلى الاحترام ادريس راغب بك ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٦ (الطبعة الثانية ١٩٠٢) .

٧ – ....

رسوم الدرجة الثالثة الرمزية للمحافل الماسونية المصرية ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٨ .

٨ – ....

رسوم الدرجة الرمزية للمحافل الماسونية المصرية ، ط ٢ ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٩٠١ .

٩ – ....

رسوم الدرجة الثانية الرمزية للمحافل الماسونية المصرية ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٩٠١ .

١٠ – **الياس منسى :**

(مترجم) : النظامات الأممية المسنونة بمعرفة المجلس

الشوروى السامى للطريقة الاسكتلندية القديمة العهد لفرنسا وملحقاتها ، القاهرة ، المطبعة الأممية ، ١٨٩٠ .

١١ – ....

أصول الماسونية الاسكتلندية (القديمة العهد) ، ط ٢ ، وقف على طبعه ونظر فيه الأخ عبد المسيح أنطاكى بك صاحب جريدة العمران ، القاهرة ، مطبعة العرب ، ١٩١٣ .

١٢ – **ايليا الحاج :**

الخلاصة الماسونية ، النبذة الأولى ، القاهرة ، مطبعة الترقى ، ١٩٠٠ .

١٣ – **جرجى زيدان :**

تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها الى هذا اليوم ، القاهرة، مطبعة المحروسة ، ١٨٨٩ . وقد أعادت طبعه دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٢ .

١٤ – **زكى ابراهيم :**

صوت الماسونية أو التقويم الماسونى العام لمحفل منف تقديم عزيز ميرهم ، القاهرة ، ١٩٢٨ .

١٥ – **شاهين مكاريوس :**

الآداب الماسونية ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٥ .

١٦ – الجوهر المصون فى مشاهير الماسون .

١٧ – ....

الحقائق الأصلية فى تاريخ الماسونية ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٧ .

١٨ – ....

فضائل الماسونية ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٩ .

١٩ ـ ....
الأسرار الخفية فى الجمعية الماسونية ، القاهرة ، مطبعة التمدن ، ١٩٠٠ .

٢٠ ـ ....
الأزهار العطرية فى الماسونية المصرية .

٢١ ـ ....
الماسونية الرمزية .

٢٢ ـ ....
تاريخ الماسونية القديمة وآثارها (مترجم) مطبعة المقتطف ، ١٩٠٣ .

٢٣ ـ ....
الدرجة الماسونية حسب طريقة المحفل الأورشليمى ، القاهرة، مطبعة المقتطف ، ١٩٠٥

٢٤ ـ ....
الدستور الماسونى العام للطريقة الأورشليمية .

٢٥ ـ **عبد الرحمن سامى عصمت :**
الصهيونية والماسونية ، ط ٢ ، الاسكندرية ، مطبعة رمسيس، ١٩٥٠ .

٢٦ ـ **محمد عبد الله عنان :**
تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ، ط ٢ ، القاهرة، لجنة التأليف ، ١٩٥٤ .

٢٧ ـ **مصطفى اسماعيل المصرى :**
الهدية الألوى الاسلامية للملوك والأمراء فى الداء والدواء القاهرة ، مطبعة البارونية ، ١٣٢١ هـ .

٢٨ ـ **نقولا سابا :**
اللآلىء الماسونية ، الاسكندرية ، ١٩٠٦ .

ثانيا : كتب ونشرات غير محددة المؤلف أو النشر :

١ ـ دستور المحافل المصرية الوطنية التابعة لعشيرة البنائين الأبرار ذوى العهد القديم والراية العامة المصححة ، القاهرة ، مطبعة التأليف ، ١٨٩٣ .

٢ ـ محفل الصدق الموقر ٣٠٥ بشرق شبرا ، القاهرة ، ١٩٠١ .

٣ ـ القانون الداخلى للمحفل من سنة ١٩٠٤ الى سنة ١٩٠٩ ، القاهرة ، ١٩٠٩ .

٤ ـ الحقيقة الجلية فى الشيعة الماسونية ، القاهرة ، ١٩٠٧ .

٥ ـ محفل السلام الاسكتلندى نمرة ٩٠٨ ، د . ت .

٦ ـ المحفل الأكبر الوطنى المصرى : تقرير الأعمال لعام ١٩٢٧ ، القاهرة ، ١٩٢٧ .

٧ ـ نشرة أعمال المحفل الأكبر الوطنى المصرى ، القاهرة ، مطبعة عطايا ، ١٩٢٨ .

٨ ـ محاضرات محفل فرعون : المختار من المحاضرات التى ألقاها كبار الأدباء بالدار الماسونية المصرية (زكريا رشدى وفيلكس فارس ومحمد مظهر سعيد ، ومصطفى فهمى) الاسكندرية ، المطبعة الأهلية ، ١٩٣١ .

٩ ـ الماسونية فى البلاد العثمانية (دون مؤلف أو ناشر أو تاريخ نشر) .

ثالثا : صحف ومجلات (فى القاهرة مالم يحدد مكان آخر للصدور)

(أ) الصحف ذات الاهتمام العام بالماسونية :

١ ـ مصر (١٨٧٨ ـ ١٨٧٩) مارون نقاش وأديب اسحق ٠٠ أسبوعية (الاسكندرية) ٠

٢ ـ البيان (١٨٨٤ ـ ١٨٨٥) يوسف شبت وميخائيل جرجس ٠ نصف أسبوعية ٠

٣ ـ المقتطف (١٨٧٦ ـ ١٩٥٢ ـ يعقوب صروف وفارس نمر ٠ شهرية ٠

٤ ـ الفلاح (١٨٨٥) سليم حموى ٠ أسبوعية ٠

٥ ـ الصـــادق (١٨٨٦) أمين ناصيف ٠ أسبوعية ٠

٦ ـ اللطائف (١٨٨٦ ـ ١٩١٠) شاهين مكاريوس ٠ أسبوعية ،

٧ ـ المقطم (١٨٨٨ ـ ١٩٥٢) فارس نمر ٠ يومية ٠

٨ ـ النصوح (١٨٩٢) محمد توفيق ٠ أسبوعية ٠

٩ ـ النظام (١٩١٩ ـ ١٩٣٢) سيد على وعلية سيد على ٠٠ يومية ٠

١٠ ـ الأيام (١٩٢٩ ـ ١٩٣٠) حسين شفيق المصرى ٠ يومية ، ثم أسبوعية من ١٩٤١ الى ١٩٤٨ ٠

(ب) الصـــحف ذات الاهتمـــام الخاص ، أى المتخصـــصة فى الماسونية :

١ ـ المجلة الماسونية (١٩٠١ ـ ١٩٠٣) يوسف لفلوفة ثم نقولا

سابا ٠ شهرية (الاسكندرية) وقد أشارت فى أحد أعدادها (أول سبتمبر ١٩٠٣ ص ١٧٢) الى جريدة ماسونية تدعى « الميزان » قالت عنها انها تصدر أسبوعيا بالعربية والايطالية ويصدرها س ٠ ن ٠ ولكننا لم نعثر لها على أثر فى دار الكتب المصرية ٠ ويبدو أنها صدرت فى الاسكندرية ٠

٢ ـ الجريدة الماسونية (١٩٠٣ ـ ١٩١٢) نقولا سابا ٠ نصف شهرية (الاسكندرية) ٠ ٠

٣ ـ الاخاء (١٩٠٦) رحمين فرجون ٠ نصف شهرية ٠

٤ ـ المجلة الماسونية (١٩٢٠ ـ ١٩٢٢) سيد على ٠ شهرية ٠

٥ ـ الأخبار الماسونية ٠ بالعربية والفرنسية (١٩٢١) موسى جرونشتين واسكندر فرج وألبير بزيات ٠ شهرية ٠ صدر منها ثلاثة أعداد (يناير ـ مارس) ٠

٦ ـ الميثاق (١٩٢٤ ـ ١٩٢٥) المحفل الأكبر الوطنى المصرى ٠ شـــهرية ٠

٧ ـ حيرام (١٩٢٤) السيد على ٠ ثلث شهرية (الاسكندرية) ٠

٨ ـ الاخاء (١٩٣٠ ـ ١٩٣٢) محمد سيف النصر ٠ أسبوعية المنصورة ٠

هوامش

(١) راجع البيبليوجرافيا الواردة فى ملاحق الكتاب .

(٢) Stephen Knight : The Brotherhood, the secret world of the Freemasons, London, Granada, 1983, P. 230.

(٣) The New Enc. Britanica : Micropedia, 1981, V. 4, P. 302.

(٤) Ibid., V. 9, P. 1155.

(٥) Ibid., V. 14, P. 648.

(٦) Ibid., V. 16, P. 56.

(٧) Enc. Americana, 1983, V. 18, P. 432.

(٨) يضيف المحرر بعض المعلومات التفصيلية عن دور اليهود فى تأسيس المحافل الأمريكية ، ومنهم موردخاى كامبانال الذى أسس أول محفل فى رود أيلاند سنة ١٦٥٨ . ويقول ان أربعة من اليهود كانوا بين مؤسسى أول محفل بمدينة سافانا رود أيلاند ، ونال درجة البناء الأكبر سنة ١٨٠٢ . وكان معاصره سولومون بوش نائب مفتش عام للماسونية فى بنسلفانيا . وفى سنة ١٧٨١ كان

اليهود ذوى نفوذ فى محفل الكمال الأعلى فى فيلادلفيا . وقد لعب هـذا المحفل دورا مهما فى أوائل تاريخ الماسونية فى أمريكا . أنظر :

Enc. Judaica, Jerusalem, 1971, V. 7, C. 124.

(٩) Ibid., CC. 122 — 124.

(١٠) Great Soviet Enc., V. 15, PP. 532 — 533.

(١١) Martin Bernal : Black Athena. FAB, London, 1984, PP. 174 — 76.

(١٢) Ibid., PP. 176 — 180.

(١٣) J.M. Landau : Prolegamena to a study of secret societies in Modern Egypt. Middle Eastern Studies, Vol. 1, No. 2, London 1965, P. 139.

(١٤) جرجى زيدان : تاريخ الماسونية العام ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ص ١٤٨ — ١٥٠ .

(١٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٠ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ١٥١ .

(١٧) المصدر نفسه ، ص ١٥٥ .

(١٨) حنا أبو راشد : دائرة المعارف الماسونية ، مكتبة الفكر العربى ، بيروت ، ١٩٦١ ، ص ١٩٥ .

(١٩) جرجى زيدان : ص ص ١٥٧ — ١٦٠ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ١٦٤ .

(٢١) المصدر نفسه ، ص ص ١٦٥ — ١٦٨ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ص ٨ — ١٠ .

(٢٣) جرجى زيدان : تاريخ مصر الحديث ، ج ٢ ، القاهرة ، ط ٢ ، مطبعة الهلال ، ١٩١١ ، ص ٢٢٣ .

(٢٤) راجع على سبيل المثال : المجلة الماسونية ، القاهرة ، أعداد أغسطس وأكتوبر ١٩٢١ ويناير ١٩٢٢ ، ص ص على التوالى : ٢٥٢ — ٥٤ ، ٣٠٢ — ٣٠٣ ، ٨١ — ٨٢ . وكذلك راجع : المقتطف ، يناير ١٩٢٥ ، ص ١٠٠ .

(٢٥) Landau, Op. Cit., P. 139.

(٢٦) Ibid., 1 oc. Cit.

(٢٧) Ibid. PP. 139 — 140.

(٢٨) جرجى زيدان : تاريخ الماسونية العام ، مصـــدر سابق ، ص ١٦٨ .

(٢٩) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣٠) Homa PaKdaman : Djamal El-Din Assad Abadi, dit Afghani, Paris, Maisoneuve — Larose, 1972, P. 58.

(٣١) شاهين مكاريوس : تاريخ الماسونية القديمة وآثارها ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٩٠٣ ، ص ص ١٥٧ — ١٦٠ .

(٣٢) ذكر جرجى زيدان فى كتابه السابق أن أحد أعضاء المحفل الذى أسسه بونابرت كان يدعى صموئيل جنس ، وهو رجل من الأهالى سافر الى فرنسا سنة ١٨١٤ حيث أنشأ محفلا هناك — راجع : تاريخ الماسونية العام ، ص ١٥١ .

(٣٣) Landau, Op. Cit., PP. 146 — 141.

(٣٤) Ibid., P. 175.

(٣٥) راجع دور حليم فى الماسونية فى : Ibid., PP. 148 — 151.

(٣٦) Elie Kedouri : Afghani and Abdo, London, Cass, 1966, P. 21.

(٣٧) أصغر مهدوى وايرج أفشار : مجموعة أسناد ومدارك جاب نشده ورباره سيد جمال الدين مشهور به أفغانى ، جامعة طهران ، ١٩٦٣ ، لوحة ١٦ .

(٣٨) Pakdaman, Op. Cit., 1 oc. cit.

(٣٩) Ibid, 1 oc. cit.

(٤٠) Ibid., P. 59.

(٤١) مهدوى وأفشار ، مصدر سابق ، ص ٣١ .

(٤٢) W.S. Blunt : Secret History of the English Occupation of Egypt, London, 1907 P. 489.

(٤٣) Ibid., 1 oc. cit.

(٤٤) لطيفة سالم (الدكتورة) : القوى الاجتماعية فى الثورة العرابية ، هيئة الكتاب ، ١٩٨١ ، ص ص ٧٦ – ٧٧ .

(٤٥) مصر : ٢٧ يونيو ١٨٧٩ ص ١ .

(٤٦) التجارة : ١٠ يوليو ١٨٧٩ ، ص ١ .

(٤٧) التجارة : ١٥ يوليو ١٨٧٩ ، ص ١ . وقد أعلن على لسان المحفل (كوكب الشرق التابع للشرق الأعظم الانجليزى) أنه « لم يكلف البتة السيد جمال الدين برسالة ما . وكيف يكون ذلك وهذا السيد معروف هنا بكرامته وبغضه للنفوذ الأوربوى ، مخطأ عند أذكياء مصر فى تصوراته التى توجب الضرر ولا تجلب النفع » .

(٤٨) التجارة : ٥ أغسطس ١٨٧٩ ، ص ٢ .

(٤٩) التجارة : ٢٢ أغسطس ١٨٧٩ ، ص ٢ .

(٥٠) مهدوى وأفشار ، مصدر سابق ، تصوير ٣٦ . راجع الرسالة كلها محققة كما نشرناها فى مجلة الدوحة ، قطر ، يوليو ١٩٨٤ ، ص ص ٧١ – ٧٧ .

(٥١) محمد المخزومى : خاطرات السيد جمال الدين الأفغانى ، بيروت ، ١٩٣١ ، ص ص ٨ – ٩ .

(٥٢) Blunt Op. Cit., P. 491.

(٥٣) نشرة الأعمال للمحفل الأكبر الوطنى المصرى ، القاهرة ، مطبعة عطايا ، ١٩٢٨ ، ص و .

(٥٤) شاهين مكاريوس: الآداب الماسونية ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٥ ، ص ص ١٩٧ – ٢٠١ ، نقلا عن : نجدة فتحى صفوة . ويلاحظ أن صاحب الأبيات هو الشاعر حفنى ناصف .

(٥٥) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، جـ ١ ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٣٤ ، ص ٥٢١ .

(٥٦) سامى عزيز (الدكتور) : الصحافة المصرية فى عهد الاحتلال ، القاهرة ، دار الكاتب العربى ، ١٩٦٨ ، ص ٣١٧ .

(٥٧) كان شاهين مكاريوس من أبرز أنصار ادريس راغب . وقد وضع على صدر كتابه « تاريخ الماسونية القديمة وآثارها » اهداء لراغب جاء فيه : « الى سعادة الفاضل الأستاذ الأعظم ادريس راغب بك أستاذ أعظم المحفل الأكبر الوطنى المصرى ، ورئيس أول أعظم المقام الأكبر المصرى لدرجة العقد الملوكى ، وعضو شرف فى جمعية قديمى العهد الماسونية ، وأستاذ أعظم الأساتذة المعلمين لولايات شمال افريقيا ، والقطب الأعظم لمشيخة الطرق العظمى للشرق الأكبر الوطنى المصرى ، ورئيس مجلس ادارة الشرق الأكبر الوطنى المصرى ، الخ » .

(٥٨) لويس عوض (الدكتور) : تاريخ الفكر المصرى الحديث من عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ ، الخلفية التاريخية ، جـ ٢ القاهرة ، هيئة الكتاب ، ١٩٨٣ ، ص ١٩٥ .

(٥٩) نشرة الأعمال ، مصدر سابق ، ص ١٠ .

(٦٠) المجلة الماسونية : ١ مايو ١٩٢١ ، ص ١ .

(٦١) المجلة الماسونية : ١ فبراير ١٩٢٢ ، ص ١١٧ .

(٦٢) نشرت جريدة « النظام » اليومية المتعاطفة مع الماسونية نص هذه البرقية فى ٢٩ ابريل ١٩٢٢ ، ص ٣ . وجاء فيها : « المحفل الأكبر الوطنى المصرى الذى يدين بالحرية والمساواة وبالاخاء يتشرف بأن يلتمس من

عطفكم الأبوى بصفتكم الملاذ الأوحد للأمة المصرية أن تشملوا أخانا سعد زغلول برحمتكم فتأمروا بانقاذه من مكان أجمع الأطباء على أنه يودى بصحته ويضر بحياته . ومولانا الملك هو خير من يحافظ على أفراد المصريين عموما ، ولا سيما الذين أدوا للوطن الخدم الكبرى . والمحفل الأكبر على يقين من أن جلالة ملك مصر لا يسمح قلبه الرحيم بأن يقضى هذا الشيخ ما بقى من عمره بعيدا عن الأهل والوطن » ووقع البرقية « عبدكم الخاضع ادريس راغب الاستاذ الأعظم » .

(٦٤) نشرة الأعمال ، مصدر سابق ، ص ١٠١ .

(٦٥) المصدر نفسه ، ص ١٧ .

(٦٦) S. Moreh : Modern Arabic Poetry, Leiden, Brill, 1976, cf. 99.

(٦٧) جرجى زيدان ، مصدر سابق ، ص ١٤٢ .

(٦٨) شاهين مكاريوس : فضائل الماسونية ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٩ ، ص ١٢٠ .

(٦٩) سامى عزيز ، مصدر سابق ، ص ٣١٨ .

(٧٠) المصدر نفسه ، ص ٣٠٩ .

(٧١) المصدر نفسه ، ص ٣١٠ .

(٧٢) نشر شيخو هذه السلسلة ابتداء من العدد ١٠ السنة ١٢ من « المشرق » فى أكتوبر ١٩٠٩ ، ودامت حتى سنة ١٩١١ ثم طبعها فى كراسات منفصلة جمعت بعد ذلك فى كتاب .

(٧٣) المجلة الماسونية : أول أغسطس ١٩٠٣ ، الاسكندرية ، ص ١٥١ .

(٧٤) المجلة الماسونية : أول يونيو ١٩٢١ ، القاهرة ، ص ٢٣١ وما بعدها .

(٧٥) المجلة الماسونية : أول نوفمبر ١٩٢٢ ، ص ١٧ وما بعدها .

(٧٦) الميثاق : ٤ سبتمبر ١٩٢٤ ، ص ص ١٥ ــ ١٧ .

(٧٧) نشرة الأعمال ، مصدر سابق ، ص ص ٨٠ ــ ٨٥ .

(٧٨) المجلة الماسونية : أغسطس ١٩٠٣ ، ص ١٥١ .

(٧٩) الجريدة الماسونية : ١٤ ابريل ١٩٠٧ ، ص ص ١ ــ ٢ .

(٨٠) المجلة الماسونية : مايو ١٩٢١ ، ص ٣٠٨ .

(٨١) الميثاق : ١٥ يونيو ١٩٢٤ ، ص ٧٦ .

(٨٢) نشرة الأعمال ، مصدر سابق ، ص ٩٧ .

(٨٣) المصدر نفسه ، ص ص ٨٠ ــ ٨٦ .

(٨٤) نجدة فتحى صفوة : الماسونية فى الوطن العربى . مركز الدراسات العربية . لندن ، ١٩٨٠ ، ص ٣٠ .

(٨٥) نشرة الأعمال ، مصدر سابق ، ص ٤٧ .

(٨٦) المصدر نفسه ، ص ص ٨٥ ــ ٨٦ .

(٨٧) نجدة فتحى صفوة ، مصدر سابق ، ص ٣٦ .

(٨٨) جرجى زيدان ، مصدر سابق ، ص ص ٥٥ ــ ٥٧ .

(٨٩) شاهين مكاريوس : الأسرار الخفية فى الجمعية الماسونية ، مطبعة التمدن ، القاهرة ، ١٩٠٠ ، ص ١٠٣ .

(٩٠) المصدر نفسه ، ص ص ٩٢ ــ ٩٦ .

(٩١) ادريس راغب : الدرجة الأولى ، مطبعة المقتطف ، القاهرة ، ١٨٩٦ ، ص ص ٩٨ ــ ١٠١ .

(٩٢) راجع نص المقال : المقتطف ، فبراير ١٩١٠ ، ص ص ١٥٧ ــ ١٦٢ .

(٩٣) المصدرنفسة ، ص ١٥٩ .

(٩٤) المصدر نفسه ، ص ١٦١ .

(٩٥) المجلة الماسونية : أكتوبر ١٩٢١ ، ص ٣٠٩ .

(٩٦) أحمد زكى أبو شادى : الشفق الباكى ج ١ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٩٢٦ ، ص ص ٢٠٣ – ٢٠٥ .

(٩٧) المقتطف : ابريل ١٩١٧ ، ص ٤٠٤ .

(٩٨) المقتطف : مايو ١٩٢٦ ، ص ٥٨٧ .

(٩٩) المجلة الماسونية : أو سبتمبر ١٩٠٣ ، ص ١٦٨ .

(١٠٠) الجريدة الماسونية : ١٤ نوفمبر ١٩٠٦ ، ص ص ٢ – ٣ .

(١٠١) الجريدة الماسونية : ١٦ يوليو ١٩٠٧ ، ص ص ١ – ٤ .

(١٠٢) الأخبار الماسونية : يناير – فبراير ١٩٢١ ، ص ٨ .

(١٠٣) المصدر نفسه ، ص ١٠ .

(١٠٤) المصدر نفسه ، ص ١١ .

(١٠٥) المجلة الماسونية : ٣٠ نوفمبر ١٩٠٣ ، ص ص ٢٠٣ – ٢٠٤ .

(١٠٦) السياسة الأسبوعية : ٢٤ نوفمبر ١٩٢٨ ، ص ٢٦ .

(١٠٧) المجلة الماسونية : أول أغسطس ١٩٠٣ ، ص ١٤٥ .

(١٠٨) المصدر نفسه ، ص ١٤٨ .

(١٠٩) حافظ ابراهيم : ديوان حافظ ابراهيم ، ج ١ ، هيئة الكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٦٥ .

(١١٠) المنار : ٢٦ يوليو ١٩١١ ، ص ٥٤٥ .

(١١١) المجلة الماسونية : أول مايو ١٩٢١ ، ص ١٧٩ .

(١١٢) المجلة الماسونية : أول أكتوبر ١٩٢١ ، ص ٣١٠ .

(١١٣) السياسة الأسبوعية : ٢١ يوليو ١٩٢٨ ، ص ص ٥ – ٦ .

(١١٤) السياسة الأسبوعية : ٢٨ يوليو ١٩٢٨ ، ص ٤ .

(١١٥) المجلة الماسونية : أول فبراير ١٩٢٢ ، ص ص ١١٧ – ١١٨ .

(١١٦) النظام : ١٩ ابريل ١٩٢٢ ، ص ٢ .

(١١٧) المصدر نفسه ، ص ٣ .

(١١٨) النظام : ٢٨ ابريل ١٩٢٢ ، ص ٣ .

(١١٩) النظام : ٥ مايو ١٩٢٢ ، ص ٢ .

(١٢٠) المجلة الماسونية : أول نوفمبر ١٩٢٢ ، ص ١٧ .

(١٢١) الميثاق : ١٥ مايو ١٩٢٤ ، ص ٥ .

(١٢٢) المصدر نفسه ، ص ٦ .

(١٢٣) راجع بيان المحفل الأكبر حول هذا الموضوع فى المقطم : ٤ سبتمبر ١٩٢٤ ، وكذلك « الميثاق » فى ١٥ يونيو ١٩٢٤ .

(١٢٤) حنا أبو راشد : مصدر سابق ، ص ص ٢٠٧ – ٢٠٨ .

(١٢٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ .

(١٢٦) المقتطف : مارس ١٩٥٠ ، ص ص ١٨٨ – ١٩٠ .

(١٢٧) حنا أبو راشد : مصدر سابق ، ص ٣٨٩ .

(١٢٨) الفن : ١٥ يونيو ١٩٥٣ ، ص ص ٦ – ٧ .

(١٢٩) الأهرام : ٢١ ابريل ١٩٦٤ ، ص ٣ .

(١٣٠) الأهرام : ١٩ ابريل ١٩٦٤ ، ص ١ .

(١٣١) الأهرام : ٢١ ابريل ١٩٦٤ ، ص ٣ .

(١٣٢) آخر ساعة : ٣ يونيو ١٩٦٤ ، ص ٢٢ .

(١٣٣) نجدة فتحى صفوة : مصدر سابق ، ص ص ٣٤ – ٣٧ .

(١٣٤) المصدر نفسه ، ص ص ٤٣ – ٤٤ .

(١٣٥) لم أستطع الحصول على معلومات حول هـذا الموضوع من وزارة الشئون الاجتماعية فقد اعتذر الجميع حول تقديم أى معلومات .

(١٣٦) S. Knight, Op. Cit., P. 229.

(١٣٧) صرح الخديو عباس حلمى فى سنة ١٩٤٤ أنه حين وصل من فينا سنة ١٨٩٢ لتولى الحكم بعد وفاة أبيه توفيق اتجه الى الجيش واتخذ اللباس العسكرى لاستمالة الضباط الى الحركة الوطنية ، ولكنه اكتشف أنهم « دخلوا الماسونية » التى كان يرأسها السردار الانجليزى ، فتحول الى الشباب المدنى ، ولبس لباسهم . ومعنى هذا ان المحاولة الوحيدة لاستغلال الماسونية فى الحركة الوطنية خلال مرحلة استقرار الأولى لم تتجاوز النية الحسنة من جانب الخديو ــ راجع : سامى عزيز ، مصدر سابق ، ص ٢١٨ .

المحتويات

الصفحة

صدر فى هذه السلسلة

١ ـ الأصول التاريخية لمسألة طابا ـ دراسة وثائقية .
د . يونان لبيب رزق .

٢ ـ مجمع اللغة العربية ـ دراسة تاريخية .
د . عبد المنعم الدسوقى الجميعى .

٣ ـ التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين ـ دراسة فى فكر الشيخ محمد عبده .
د . زكريا سليمان بيومى .

٤ ـ الجذور التاريخية لتحرير المرأة المصرية فى العصر الحديث
د . محمد كمال يحيى .

٥ ـ رؤية فى تحديث الفكر المصرى ـ « الشيخ حسن المرصفى وكتابه رسالة الكلم الثمان مع النص الكامل للكتاب » .
د . أحمد زكريا الشلق .

٦ ـ صياغة التعليم المصرى الحديث ـ دور القوى السياسية والاجتماعية والفكرية ١٩٢٣ ـ ١٩٥٢ » .
د . سليمان نسيم .

٧ ـ دور مصر فى أفريقيا فى العصر الحديث .
د . شوقى عطا الله الجمل .

٨ ـ التطورات الاجتماعية فى الريف المصرى قبل ثورة ١٩١٩ .
د . فاطمة علم الدين عبد الواحد .

٩ ـ المرأة المصرية والتغيرات الاجتماعية ١٩١٩ ـ ١٩٤٥ .
د . لطيفة محمد سالم .

١٠ ـ الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادى بين مصر والسودان ـ دراسة فى العلاقات الاقتصادية المصرية السودانية ١٨٢١ ـ ١٨٤٨ » ٠
د ٠ نسيم مقار ٠

١١ ـ حول الفكرة العربية فى مصر ـ « دراسة فى تاريخ الفكر السياسى المصرى المعاصر ٠
د ٠ فؤاد المرسى خاطر ٠

١٢ ـ صحافة الحزب الوطنى ١٩٠٧ ـ ١٩١٢ ـ « دراسة تاريخية » ٠
د ٠ يواقيم رزق مرقص ٠

١٣ ـ الجامعة الأهلية بين النشأة والتطور ٠
د ٠ سامية حسن ابراهيم ٠

١٤ ـ العلاقات المصرية السودانية ١٩١٠ ـ ١٩٢٤ ٠
د ٠ أحمد دياب ٠

١٥ ـ حركة الترجمة فى مصر فى القرن العشرين ٠
أحمد عصام الدين ٠

١٦ ـ مصر وحركات التحرر الوطنى فى شمال افريقيا ٠
د ٠ عبد الله عبد الرازق ابراهيم ٠

١٧ ـ رؤية فى تحديث الفكر المصرى ـ « دراسة فى فكر احمد فتحى زغلول » ٠
د ٠ أحمد زكريا الشلق ٠

١٨ ـ صناعة تاريخ مصر الحديث ـ « دراسة فى فكر عبد الرحمن الرافعى » ٠
د ٠ حمادة محمود اسماعيل ٠

١٩ ـ الصحافة والحركة الوطنية المصرية ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ ـ من ملفات الخارجية البريطانية ٠
د ٠ لطيفة محمد سالم ٠

٢٠ ـ الدبلوماسية المصرية وقضية فلسطين ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ٠
د ٠ عادل حسين غنيم ٠

٢١ ـ الجمعية الوطنية المصرية سنة ١٨٨٣ ـ « جمعية الانتقام » ٠
د ٠ زين العابدين شمس الدين نجم ٠

٢٢ ـ قضية الفلاح فى البرلمان المصرى ١٩٢٤ ـ ١٩٣٦ ٠
د ٠ زكريا سليمان بيومى ٠

٢٣ ـ فصول فى تاريخ تحديث المدن فى مصر ١٨٢٠ ـ ١٩١٤ ٠
د ٠ حلمى أحمد شلبى ٠

٢٤ ـ الأزهر ودوره السياسى والحضارى فى أفريقيا ٠
د ٠ شوقى الجمل ٠

٢٥ ـ تطور النقل والمواصلات الداخلية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ ـ ١٩١٤ ٠
د ٠ فاطمة علم الدين ٠

٢٦ ـ جمعية مصر الفتاة ١٨٧٩ دراسة وثيقية ٠
د ٠ على شلش ٠

٢٧ ـ السودان فى البرلمان المصرى ـ ١٩٢٤ ـ ١٩٢٦ ٠
د ٠ يواقيم رزق مرقص ٠

٢٨ ـ عصر حككيان ٠
١ ٠ د / أحمد عبد الرحيم مصطفى ٠

٢٩ ـ صغار ملاك الأراضى الزراعية فى مديرية المنوفية ٠ ١٨٩١ ـ ١٩١٣ ٠
د ٠ حلمى أحمد شلبى ٠

٣٠ ـ المجالس النيابية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ٠
د ٠ سعيدة محمد حسنى ٠

٣١ ـ دور الطلبة فى ثورة ١٩١٩ ، ١٩١٩ ـ ١٩٢٢ ٠
د ٠ عاصم محروس عبد المطلب ٠

٣٢ ـ الطليعة الوفدية والحركة الوطنية ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ ٠
د ٠ اسماعيل محمد زين الدين ٠
٣٣ ـ دور الأقاليم فى تاريخ مصر السياسى ٠
د ٠ حمادة محمود اسماعيل ٠
٣٤ ـ المعتدلون فى السياسة المصرية ٠
د ٠ أحمد الشربينى السيد ٠
٣٥ ـ اليهود فى مصر ٠
د ٠ نبيل عبد الحميد سيد أحمد ٠
٣٦ ـ مصر فى كتابات الرحالة الفرنسيين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ٠
د ٠ الهام محمد على ذهنى ٠
٣٧ ـ المعتدلون فى السياسة المصرية
ماجدة محمد حمود
٣٨ ـ مصر والحركة الوطنية ٠
أ ٠ د / محمد عبد الرحمن برج ٠
٣٩ ـ مصر وبناء السودان الحديث .
د ٠ نسيم مقار ٠
٤٠ ـ تطور الحركة النقابية للمعلمين المصريين ١٩٥١ ـ ١٩٨١
د ٠ محمد أبو الاسعاد

وبين يديك :

الماسونية فى مصر
د ٠ على شلش

رقم الايداع ١٩٩٣/٢٠٩٦

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 3264 — 0

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب